


مواقف اجتماعية من حياة

الشيخ العلامة

# عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله

(١٣٠٧-١٣٧٦هـ)



إعداد وتأليف

محمد بن عبد الرحمن بن ناصر السعدي

مساعد بن عبد الله بن سليمان السعدي





رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# مواقف اجتماعية من حياة

الشيخ العلامة

# عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله

الطبعة الثانية

دار الميمان للنشر والتوزيع

١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م

ح مساعد عبدالله السعدي، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعدي، محمد بن عبدالرحمن
مواقف من حياة الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر السعدي /
محمد بن عبدالرحمن السعدي؛ مساعد عبدالله السعدي. . الدمام ١٤٢٦هـ
٢٢٤ ص : ٥ر١٤× ٢١ سم
ردمك: ٥-٧٤٩-٤٧- ٩٩٦٠
١-السعدي، عبدالرحمن بن ناصر
أ. السعدي، مساعد عبدالله (مؤلف مشارك) ب. العنوان
ديوي ٩٢٢٠١١٧ ٢٤٣٨ / ١٤٢٦

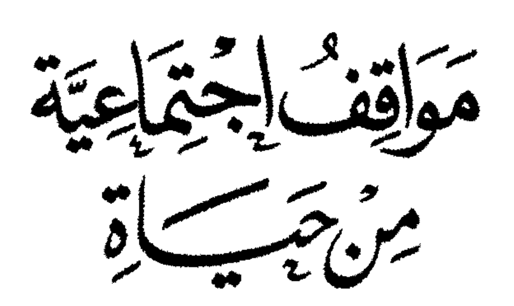
رقم الإيداع: ٢٤٣٨ / ١٤٢٦
ردمك: ٥-٧٤٩-٤٧- ٩٩٦٠



المملكة العربية السعودية

ص.ب ٩٠٠٢٠ الرياض ١١٦١٣

هاتف: ٤٦٢٧٣٣٦ ١ (٩٦٦) + فاكس: ٤٦١٢١٦٣ ١ (٩٦٦) +




الشيخ العلامة

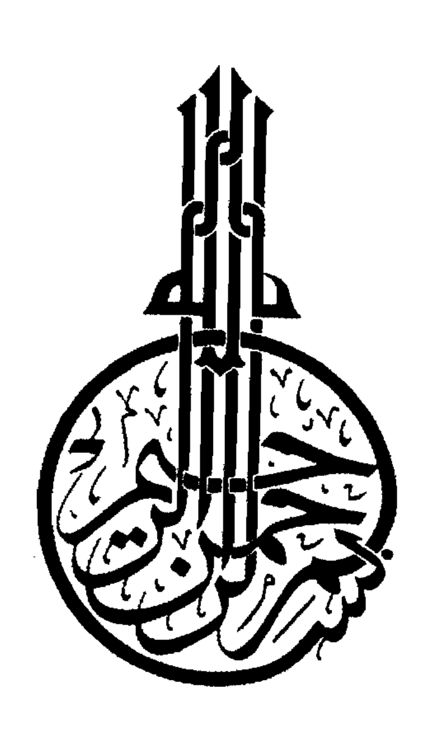
# عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله

(١٣٠٧-١٣٧٦هـ)

إعداد وتأليف

محمد بن عبد الرحمن بن ناصر السعدي
مساعد بن عبد الله بن سليمان السعدي


بسم الله الرحمن الرحيم

# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


مقدمة

# مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدًا. والصلاة والسلام على الهادي البشير محمد بن عبد الله سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعدُ؛ فإن العلماء هم بقية السلف الحاملين لتراث نبيهم ﷺ، والداعين إلى سبيله المستقيم، أمضوا حياتهم كلها في ليلهم ونهارهم، وصحتهم ومرضهم، وعسرهم ويسرهم، ينشرون هذا الدين ويعلمونه للناس، فأنجبت حلقاتهم العلمية، وخطبُهم المنبرية، طلاب علم حملوا الأمانة من بعدهم، وواصلوا ما بدأه أسلافهم، وهكذا يستمر أثر السلف في خلفهم فلا ينسى، وهكذا يتتابع الأخذ والعطاء.

والشيخ العلامة الجد عبد الرحمن الناصر السعدي حلقة من

حلقات هذه السلسلة الذهبية والتي مادتها القرآن والحديث والفقه والسيرة والعقيدة والأخلاق والقِيَم.

عرفَتْهُ عنيزة غلامًا يتيمًا، وطالبا مُجدًّا، وباحثًا ذكيًّا، وعرفتْه عنيزة عالمًا ربانيًّا، وعابدًا وَرِعًا، وداعيا لله، ومربيًا، وعرفتْهُ أبًا حنونًا، لا يفرِّق في الحق بين الغني والفقير، والأسود والأبيض، والكبير والصغير، فاتسعت دائرة المحبة بينه وبين الناس، وكيف لا؟ وقد اجتمعت فيه الخصال الجميلة والأخلاق السامية، فسبقت سجاياه الحميدة إلى آذان الناس مؤلفاتِهِ ورسائلَهُ؛ فأحبَّه الناسُ في مشارق الأرض ومغاربها، فلا عجب أن تجد في أطراف العالم الإسلامي من يذكر الشيخَ في مجلسه العلمي، وينصح طلابه باقتناء مؤلفاته ورسائله العلمية، وإنه لينتابك شعور غريب تُجاه الشيخ عندما تسمع في مجالس العامة ممن لم يعاصروا الشيخ، وكان بينهم وبينه عقود من السنين، من يُطري الشيخ ويذكر مآثره ومواقفه المضيئة، ويود لو أنه جالسه أو شاهده.

ولا عجب أيضًا أن ترى طلاب العلم في هذا الزمان يتسابقون إلى اقتناء مؤلفاته والسؤال عنها، ولا عجب كذلك أن تجد كبار العلماء يستدلون ويستنيرون في إصدار أحكامهم الشرعية

بمؤلفاته ورسائله.

ولهذا كله كَثُرَ بين طلابه ومحبيه تناقل ترجمة الشيخ وسيرته من مولده حتى وفاته، وذِكْر طلبه للعلم وأخذه عن العلماء، إلى أن صار عالما له مؤلفاته وطلابه، وهم في هذا بين الْمُخْتَصِرِ المقتصِرِ والمسهبِ المطنبِ، ومن طلبة العلم من تخصص في دراسة منهج الشيخ، ومنهم من ألف فيه المؤلفات العديدة.

وفي هذا الكتاب استجمع الخال محمد بن عبد الرحمن السعدي فكره وذاكرته يملي لنا ما لم ينسه من صفحات وأيام الجدّ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وذلك بحكم القرابة الأبوية، فجاء الكتاب محتويا على جوانبَ تربوية وأخلاقية واجتماعية عظيمة لا يمكن إغفالها عند ذكر سيرته العطرة، وكثيرٌ من هذه المواقف لم تُنشرْ ضمن ترجمة الشيخ المشهورة. وقد سميته "**مواقف اجتماعية من حياة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي**".

**وكان عملي في هذا الكتاب:**

- إعادة صياغة بعض المواقف وتصحيحها وضبطها وترتيبها. وقد أبقيت بعض المصطلحات العامية لأهل نجد والقصيم مع وضع المعنى بين قوسين تسهيلا على القارئ.

- تضمين الكتاب المواقف التي حصلت عليها من الوالدة ومن غيرها وكنت أذكره بصفته الجد على غير عادة الخال الذي يذكره بصفة الوالد.
- إدراج بعض ما وجدته من فوائد ولطائف عند تقليب بعض مخطوطات الجدّ وأوراقه الشخصية.
- إعداد مقدمة الكتاب.
- الإشراف على طباعة الكتاب.

فلا تعجل أيها القارئ الكريم في الحكم على هذا الكتاب، فنحن في مرحلة التجميع، وإن كان في العمر بقية سيتبع ذلك -إن شاء الله- دراسة تفصيلية لهذه المواقف من الناحية التربوية والاجتماعية والعلمية، فلا تبخل علينا أخي الفاضل بما لديك من معلومات وملاحظات واستدراكات؛ لخدمة هذا الكتاب، ونسأل اللهَ التوفيق لنا ولكم، والحمد لله.

**مساعد بن عبد الله بن سليمان السعدي**

١/ ١١/ ١٤٢٧هـ

**الدمام ص. ب ٩١٣٥ الرمز البريدي ٣١٤١٣**

saadi555@gmail.com

# مقدمة

## محمد بن عبد الرحمن السعدي

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهدِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.
أما بعد؛ فقد طلب إليّ الابن مساعد العبد الله السِّعْدي أن أُقيِّدَ وأكتُبَ له صفحاتٍ من حياة الوالد الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السِّعْدي رحمه الله، وأقيِّدَ له ما عرفته عنه رحمه الله من حياته اليومية والاجتماعيَّة وجهوده العلميَّة، وذلك بحكم القرابة الأبوية.

ولما ألح عليَّ بعض الإخوان والأصدقاء والأحباب في طلب ذلك أجبتهم إلى ما يريدون، وكان إلحاحُ من لم يشاهده من الإخوان أشدَّ، وكذلك مَن لم يعاشرْهُ من الأبناءِ الذين تُوفِّيَ الشيخُ وهم صغار، فلم يدركوه، وكان جُلُّ حظِّهم من معرفته ما قرؤوه له

من تراجم علمية، أو ما وصل إلى مسامعهم من ذكره الطيب.

ولما سمعتُ وقرأتُ بعض المواقف التي كُتِبتْ عن الشيخ قَوِيَ عزمي على الكتابة، وزاد من هذا العزم وحَدَاه على إتمام هذا العمل أن بعض -وليس كلّ- ما يُكتبُ عنه رحمه الله أو ما يُنقل في الصحف والمجلات والمجالس يخالف الحقيقة في قليل أو كثير، وقد شجّعني على ذلك أيضًا الأستاذ الكريم إبراهيم العبد الرحمن التركيّ الكاتب في جريدة الجزيرة، فَرأيْت أن أكتب وأقيّد ما شاهدتْهُ عيْنِي وسمعتْهُ أذني دون واسطة، عن عاداته وأخلاقه، وحياته اليومية وعلاقاته الأسرية والاجتماعية الخاصة والعامة، كذلك بعض جوانب حياته العلمية، دون إسهاب أو تطويل، وقد سطرتُ ما حضر في الذهن واستجمعتْهُ الذاكرةُ، دون ترتيب أو تبويب، وقد نسيتُ كثيرًا منها؛ لذلك سجلت هنا ما أحفظه كأني أراه رَأْيَ عين، وما لا يُدرَك كلُّه لا يُتركُ كلُّه، وقد أَوْكَلْتُ أمر ترتيبها ومراجعتها والإشراف على طباعتها للابن مساعد السِّعدي، وقد أضاف حفظه الله ما سمعه من بعضِ المشايخ، وما روته له والدته الأخت نورة، وما وجده ضمن مخطوطات الوالد وأوراقه الشخصية.

# الشيخ وأسرته



# الشيخ وأسرته

هو الشيخ الوالد المربي الفاضل العلامة صاحب التفسير المعروف والمؤلفات الكثيرة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد بن محمد بن حمد السِّعدي، من النواصر من بني عمرو أحد أفخاذ بني تميم، وُلد رحمه الله في الثاني عشر من شهر محرم عام ١٣٠٧هـ.

## والد الشيخ وأمه

كان والده رحمه الله من طلبة العلم، ومن العُبّاد الصالحين، حافظا لكتاب الله، كان يقرأ بين يدي شيخه الفقيه علي بن محمد المحمد الراشد رحمه الله (١٢٢٣هـ-١٣٠٣هـ) في جماعة جامع عنيزة بعد صلاة العصر، وصلاة العشاء، وكان ينوبه في إمامة الجامع في حال سفره رحمهما الله جميعا.

ولد الجد ناصر عام ١٢٤٣هـ تقريبا، وعُيِّنَ إماما لمسجد المسوكف في عنيزة عام ١٣١٠هـ، وكان أهل عنيزة يثقون به في كتابة الوثائق والأوقاف والديون التي لهم أو عليهم، وتُوفيَ الجدُّ ناصر عام ١٣١٤هـ، وعمر الشيخ عبد الرحمن سبع سنوات، وقد زرتُ قبره، وهو قريبٌ من قبر الوالد، وشاهدت نَصِيبَةَ قبر الجد ناصر من جهة الرأس، وقد كتب فيها الوالد رحمه الله بخط يده حفرًا هذه العبارة "اللهم ارحم الشيخ ناصر السعدي".

أما عن أمه فهي فاطمة العبد الله العثيمين، توفيت رحمها الله عام ١٣١١هـ في طريقها إلى عنيزة بعد قدومها من الحج.

## الإخوة والأخوات

وللوالد رحمه الله ثلاثةُ إخوة:

**الأخ الأول** العم سليمان الناصر العبد الله السعدي، وهو شقيق الوالد (١٣٠٨هـ - ١٣٧٣هـ)، أما **الأخ الثاني** للوالد فهو العم حمد الناصر العبد الله السعدي (١٢٩٢هـ - ١٣٩٠هـ)، وأمه رقية العرينان من أشراف قريش، قامت على رعاية الوالد وعطفت عليه وربته أحسن التربية، رحمهما الله جميعًا، **والأخ الثالث** للوالد من أمه هو العم حمد العلي القاضي رحمه الله.

وللوالد **خمس أخوات** أكبر منه سنًّا؛ هن: نورة وهي والدة الشيخ إبراهيم العمود، وحصة وهي أم محمد العلي الشيوخ، ومنيرة وهي أم الخال ناصر الجبرين، وموضي وهي والدة علي وحمد العبد المحسن البسام، ومضاوي وهي زوجة صالح العبدلي (الحماد).

## ذكريات طفولته

ذكر لي الوالد رحمه الله أنه كان في صغره حريصًا على صلاة الفروض والنوافل، وذكر أنه في إحدى ليالي رمضان لما كان عمره عشر سنوات تقريبًا صلَّى الفجر في المسجد وجلس فيه بعد الصلاة وقد أخذه التعب الشديد فغلبه النوم من الإرهاق، ولم ينتبه إلا وإحدى النساء من المصليات توقظه من النوم، وذلك قبل صلاة التراويح من ليلة اليوم الثاني، وتقول له: قم يا وُلَيْدِي . . . قم يا حلالي . . . لا تنم هنا، هذا مكان الحريم. وهي لا تعلم أن الوالد نائم من الفجر، فقام وتوضأ وصلى الفوائت وصلى العشاء والتراويح، رحمه الله.

## طلبه للعلم

تقول إحدى أخواته: إن الجد ناصر إذا قال للشيخ الوالد

عبد الرحمن: سوف أذهب بك إلى الدراسة (المطوع في ذلك الوقت) جلس الوالد الشيخُ يبكي ويمتنع عن الذهاب، فيرد الجد ناصر ويقول: هذا الولد إذا أطرين (ذَكَرْنَا) له الدراسة قعد يبكي لا يريد المدرسة، لكن الله المدبر.

فأصلحه الله فحفظ القرآن الكريم وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره.

واشتغل بطلب العلم، فقرأ التوحيد والتفسير والحديث والمصطلح والفقه وأصوله على يدي عدد غير قليل من الشيوخ، وأجازه شيوخه بمروياتهم[١].

## تصدره للتعليم والتدريس

ولما بلغ الشيخ من العمر ثلاثة وعشرين سنة جلس للتدريس، وفي عام ألف وثلاثمائة وخمسين من الهجرة انتهت إليه المعرفة التامة ورئاسة العلم في القصيم.

وكان رحمه الله كأنه قد أوقف نفسه على العلم والعلماء فله محاضرات ودروس يلقيها بالمدارس الحكومية مرة أو مرتين

(١) انظر ما سيأتي: (ما عرفته عن الجد الشيخ عبدالرحمن السعدي).

بالأسبوع، فيذهب الضحى ليلقي المحاضرات أو الدروس على التلاميذ، وكان لا يتقاضى راتبا مقابل هذه الدروس.

## وصف الشيخ

أما صفاته الخَلْقِيَّة فهو ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيض شعر اللحية والرأس منذ أن كان سنه ثمانية وعشرين عاما تقريبًا، هو والعم سليمان، أمَّا العَم حمد فقد تأخر فيه الشيب إلى قريب من وفاته.

## زوجته وأولاده

تزوَّج الشيخ من الوالدة حصة العبد العزيز السعدي في حدود عام ١٣٣٠هـ.

وله من الأبناء ثلاثة: هم عبد الله توفي عام ١٤٠٥هـ، وأحمد توفي عام ١٤٢٢هـ، ومحمد كاتب هذه الأسطر، ومن البنات الأخت لولوة وهي زوجة صالح العبد الله الشبل توفيت في صفر عام ١٤٢٠هـ، والأخت نورة وهي زوجة ابن العم عبد الله السليمان السعدي، وكان الشيخ رحمه الله يسميها في ذلك الوقت لصغر سنها بالنيرة (العملة الذهبية)، وعُرِفَت بهذا الاسم بين أهل

عنيزة وطلبة الشيخ، وهي والدة جامع هذه المعلومات مساعدِ العبد الله السعدي، ولها مواقف مع الشيخ يأتي ذِكْرُها ضمنَ هذا الكتاب. وتوفيت الوالدة «حصة» في مدينة الخبر ٢٥ شوال عام ١٣٩١هـ رحمهما الله جميعا.

## أصدقاؤه

وكان له رحمه الله مستشارون يشاورهم في كثير من المسائل الخاصة والعامة، فمنهم -رحمهم الله- عقيل المحمد الشملان، ومحمد المنصور الزامل، وعبد العزيز المحمد العوهلي؛ فهو يثق بهم وبرأيهم ويطلعهم على كل شيء يهمه ويهم البلد.

وكان رحمه الله له خاصة من الأصدقاء وهم محمد السليمان البسام، وحمد السليمان البسام؛ ومن سبق ذكرهم، يجالسهم ويمزح معهم.

* * *

# وفاة الشيخ وتكريمه

# وفاة الشيخ وتكريمه

توفي رحمه الله في عنيزة ليلة الخميس ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٣٧٦هـ، ونظرًا لفضله وانتشار مؤلفاته وخدمته للعلم والمتعلمين كان محل تقدير من حكومة المملكة وشعبها الكريم، فقد سُمّيَ شارع ومسجد في عنيزة باسمه، وكذلك إحدى المدارس الثانوية بعنيزة، وسمي شارع ومسجد بالرياض باسمه، ومسجد في مدينة الخبر ومكة المكرمة، وكذلك شارع في مدينة الدمام والرياض، إحياءً لذكره وتقديرًا لعلمه، فضلًا عن اعتماد تدريس كثير من مؤلفاته في الجامعات والمعاهد داخل وخارج المملكة.

* * *



# الشيخ السّعدي في بيته



# الشيخ السِّعْدِي في بيته

## دخل الشيخ ونفقاته

كان رحمه الله في أول عمره وبعد وفاة والده يعيش في بيت أخيه حمد الناصر السعدي رحمه الله. ولما بلغ سبعا وثلاثين سنة استأذن أخاه حمد أن يسمح له بالسكن في بيت خاص به؛ وذلك بسبب كثرة الأولاد وتيسر الحال، فتردد العم حمد في الموافقة، ولكن وافق بعد ذلك، وخرج الوالد من بيت أخيه إلى بيت استأجره في أول الأمر، ثم اشترى بيتا من فهد البسام رحمه الله، ويسمى هذا البيت "بيت الفهد" بمحلة الحويطه (مكان في عنيزة) وهو يبعد عن مسقط رأسه رحمه الله ٧٠ مترا تقريبًا، انتقل إليه مع أولاده وهم على أحسن حال .

وفي ذلك الوقت كانت النفقات الاستهلاكية قليلة جدًّا، وكان الناس يعيشون عيش الكفاف. وكان للوالد رحمه الله إرث

من والده ناصر العبد الله، وكان أخوه حمد هو الذي قد تولى أمر الإرث أول الأمر حين كان الوالد صغيرا، فكان يعطي الوالد حقه عند حلوله، ولأم الوالد فاطمةَ العثيمين رحمها الله إرث أيضا كان يستلم نصيبه منه كل سنة.

كذلك كان لوالدتي حصة إرث من حائط يسمى (روضة العتابا) تعطيه الوالد ليحفظه وينفق منه. أما نصيب شقيقه سليمان من الإرث فقد كان يستلمه الوالد وينفق منه بإذن منه. لهذا لم تكن عليه في يوم من الأيام ديون تضايقه والحمد لله، ولا أذكر أن أحدا قد قدَّم له مساعدة مالية، وذلك لتوفر الكفاية عنده.

أما عن حقه في أوقاف المسجد الجامع، فكان رحمه الله لا يقبلها بل يأمر بتوزيعها بواسطة أصدقائه على المحتاجين من أهل عنيزة، فكان رحمه الله ورعًا لا يَسْأَلُ عن الدنيا ولا يطلبها.

## ملبسه ومأكله

كان رحمه الله له خليقًا بلباسه، وله بشت (عباءة) مكسر بدون زري عودي اللون (بني غامق) خفيف، يستعمله في فصل الصيف وقت الحر، وله بشت آخر جبر (ثقيل وسميك) يلبسه في الشتاء، وكان رحمه الله يلبس الثياب البيضاء المصنوعة من قماش

يسمى في ذلك الوقت الخام أو البفت.

وكما هي عادة أهل نجد فهم لا يلبسون السراويل إلا بالشتاء للتوقي من البرد، ولأنه لا يلبس ثياب الصوف الملونة لعدم توفرها ذلك الوقت كان يحتاط عن البرد بلبس ثوب فوق ثوب، وكانت الوالدة حصة رحمها الله هي التي تخيط ملابسه بيدها.

ولم يلبس رحمه الله الغترة البيضاء، بل كان يلبس الشماغ الأحمر في الشتاء والصيف. وكانت له مهفة خاصة (مروحة من السعف) يستعملها وهي بيضاء غير منقوشة، وهو يستعملها بدلا من العصا بالقيظ (الصيف)، أما بالشتاء فهو يستعمل العصا المستقيمة.

أما العقال فكان إلى قريب من وفاته يلبس العقال إذا سافر على بعير أو بالسيارة حتى يمسك الشماغ من أجل ألا يطير من شدة الريح، وهذا ما لم يكن مشايخ نجد والقصيم خاصة يتسامحون في لبسه.

## عادات الشيخ السعدي وبرنامجه اليومي

لعل الحديث عن ما يمكن أن نسميه بالبرنامج[1] اليومي

(١) من معاني البرنامج الخطة المرسومة لعمل ما.

للشيخ من أهم الجوانب التي يجب أن يُعنى بها من يترجم للشيخ ومن يقرأ عنه، ونبدأ مع الشيخ منذ استيقاظه من نومه ليحيي ليله ذاكرا ومصليا لربه، فقد اعتاد رحمه الله أن يُحييَ آخر الليل بالصلاة والذكر كما هي السنة، فيصلي ما شاء الله له أن يصلي، وكان حريصا على قيام الليل في مقامه وسفره، ويتخذ الوسائل التي تعينه على القيام؛ فمن ذلك الساعة المنبهة، وكانت لديه دلة قهوة صغيرة يقوم بتسخينها ليشرب منها بين التسليمات من أجل أن تبعث فيه النشاط ويتقوى على الصلاة.

وعند أذان الفجر يذهب إلى المسجد (جامع عنيزة الكبير) يؤم المصلين لصلاة الفجر، وبعد صلاة الفجر يذهب إلى منزل صديق عمره الشيخ يوسف العبد العزيز الشبل، فيشربون القهوة والحليب فقط، ويتدارسان القرآن الكريم فيما بينهما ويتلوانه، وقد يحضر معهم عدد من الأصدقاء وطلبة العلم، منهم الشيخ إبراهيم الغرير رحمه الله؛ ليشاركوهما في مُدَارسة القرآن الكريم. ومع طلوع الشمس بمقدار نصف ساعة ينتهي المجلس ويخرجون من بيت الشيخ يوسف الشبل ويخرج الوالد معهم، فإذا دعي لتناول القهوة ذهب إلى منزل الداعي، ثم يعود الشيخ إلى بيته فيسلم على من كان حاضرًا، ويجلس يتحدث إليهم.

بعد ذلك يذهب رحمه الله إلى المسجد الجامع للتعليم والتدريس، وفي وقت الضحى، في حدود الساعة الثانية ضحى بالتوقيت الغروبي (بين الساعة الثامنة والنصف والتاسعة والنصف بالتوقيت الزوالي) يرجع للمنزل لتناول الغداء، فإذا كان أحد أبنائه موجودا في عنيزة انتظره ليتغدى معه، بعد الغداء يذهب إلى المسجد للتعليم والتدريس، ثم يرجع للبيت للقراءة والتأليف والرد على الرسائل التي تصل إليه من جميع أنحاء المملكة ومن خارجها، ولم يكن الشيخ في بيته منعزلا بل كان في مهنة أهله؛ فكان يقوم ببعض الأعمال كغسله لملابسه وعنايته بالبهائم.

وقبل أذان الظهر بخمسة وأربعين دقيقة يَقِيلُ (ينام وقت القيلولة) وعند الأذان يقوم ويتوضأ للصلاة ويذهب لإمامة الناس في صلاة الظهر، وكان من عادته رحمه الله أنه جعل الوقت الذي بعد صلاة الظهر مباشرة مخصصا لتلبية دعوات محبيه فيذهب إلى الذي دعاهُ على القهوة، فيجلس عنده حوالي نصف الساعة، وإن طال مجلسه فلا يتجاوز خمسًا وأربعين دقيقة.

بعد ذلك يعود لبيته فيتوضأ ثم يذهب إلى المسجد للتعليم والتدريس حتى أذان العصر، ثم يصلي العصر، وبعد الصلاة يشرع

صديقه وأحد طلابه الشيخ عبد العزيز المحمد السليمان البسام (١٣٢٢-١٤١٣هـ) في قراءة بعض الكتب بين يديه، وغالبا ما تكون قراءته في كتب الحديث، ثم يقوم الشيخ بالتعليق والشرح، فلا يجاوز هذا المجلس ربع الساعة.

بعد ذلك يرجع للبيت ويجلس وحده، وكان له مكان يجلس فيه في بيته في مستراح الدرج (السلم)، مساحته تقريبا متر ونصف المتر طولا ومتر ونصف المتر عرضا، يدخله النور والهواء، ويوجد فيه قطعة مدة (بساط صغير) ومخدة (مركى) مصنوعة من الطرف يتكئ عليها .

كان رحمه الله يجلس فيه للقراءة والكتابة والتأليف، وهذا المكان منعزل عن البيت وهادئ، ومع ذلك فهو يستطيع وهو فيه أن يسمع باب القهوة إذا طرقه أحد من السائلين أو طالبي الفتوى. فيجلس الشيخ ليطالع ويبحث ويؤلف ويرد على الرسائل التي تَرِدُ عليه، حتى يُنادَى عليه للعَشَاء، وذلك في حدود الساعة الحادية عشرة بالتوقيت الغروبي (بين الساعة الرابعة والنصف والساعة الخامسة والنصف عصرا بالتوقيت الزوالي) وقبل صلاة المغرب أُنادي الوالد من أسفل الدرج وأقول له بلهجة أهل القصيم : "يبه

. . . يبه العشا جاهز" ، ومن لطفه رحمه الله وتواضعه يرد علي بلهجة أهل القصيم: "سم . . . سم. . ." ، وهي كلمة عند أهل نجد تعني "نعم" ، بل هي كلمة عندهم ألطف من كلمة "نعم" ، ثم يتعشى عشاء زهيدا من أكلات أهل القصيم الشعبية دون تكلف.

وقبل غروب الشمس بمقدار نصف الساعة يذهب بنفسه أو يمر عليه صديقه الشيخ عبد العزيز المحمد البسام فيذهبان إلى مزرعة المنصور، وهي قريبة من المسجد يتوضآن فيها ، ثم يتوجه إلى المسجد فيؤم الناس في صلاة المغرب وكان له رحمه الله صوت حسن يرتل به القرآن الكريم في الصلاة وخارجها.

بعد صلاة المغرب يجلس لتفسير القرآن الكريم، فيحضر هذا المجلس العلمي عدد كبير من المصلين من عامة الناس ، الرجال والنساء، وكذلك طلبة العلم الصغار والكبار، وغيرهم كثير ، فيستمر في درسه إلى أذان العشاء ، وكانت طريقة تدريسه في هذا الوقت سهلة ميسرة تصل إلى كل من يحضر المجلس، وقد يتحدث إليهم باللهجة العامية، ثم يجيب على أسئلة الحاضرين بأسلوب علمي ميسر مفهوم للعامة والخاصة، وبعد ذلك يؤم المصلين لصلاة العشاء، وكان رحمه الله في صلاته يراعي أحوال

المصلين من المرضى والضعفاء فلا يطيل عليهم، وأذكر أن أحد المصلين كان يعاني من حُصْرِ البول ولا يتحمل الإطالة في الصلاة، فإذا حُصِرَ واشتد عليه ذلك كح (سعل) عدة مرات، فيفهم منه الوالد وهو في الصلاة أن الرجل محصور فيخفف الصلاة رحمة بهذا الرجل.

وكان من عادته أنه إذا كان فصل الصيف وعندما يكون أحد أبنائه موجودا في عنيزة يأخذ (بشته) بعد انقضاء صلاة المغرب ويطويه لكي يوصله إلى البيت ويدرس ويصلي العشاء رحمه الله بدون بشت. بعد صلاة العشاء يذهب كما هي عادة أهل عنيزة إلى القهاوي (مجالس الناس) إجابة لمن يدعوه لتناول القهوة، فيجلس نصف الساعة فقط ولا يطيل المقام عنده، ثم يرجع إلى بيته.

وفي حدود الساعة الثالثة ليلا بالتوقيت الغروبي (بين الساعة الثامنة والنصف والساعة التاسعة والنصف بالتوقيت الزوالي تقريبا) يكون الوالد الشيخ رحمه الله في فراشه استعدادا؛ لينام وقتا يقوم بعده ليحيي الليل.

فكان كل وقته قد شغله بالمطالعة والبحث والتأليف -وكان رحمه الله ذا جلد وقوة على التأليف والنسخ والمراجعة- والكتابة

في الصحف والمجلات الإسلامية، والرد على الرسائل والأسئلة التي تَرِد عليه من جميع البلدان القريبة والبعيدة، والتعليم والتدريس والتوجيه والإرشاد، وحل المشكلات والشفاعات، وحضور المحافل العامة وخدمة الناس، ووصل الأقارب، ومساعدة أهل بيته حتى في أبسط الأمور من غسله لملابسه وصيانته لمنزله وموالاته وعنايته بالبهائم، فرحمه الله رحمة واسعة.

## مجالسه مع عامة الناس

كان رحمه الله إذا جلس في مجالس الناس لا يقوم من مكانه وقوفًا للسلام إلا لثلاثة: شيخ من المشايخ، أو أمير من الأمراء، أو غريب قد قدم للبلد ولم يره الوالد، وما عداهم كان رحمه الله يسلم عليهم وهو جالس اتباعًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا صبوا القهوة في المجلس والوالد جالس من جهة اليسار، فإذا بدأوا بالأيمن قدم الجالس على اليمين الشيخ على نفسه قائلا: لا، أَعْطِ الشيخَ قبلُ. تقديرا للشيخ، وفي بعض الأوقات كان كل واحد من الناس يؤثر غيره على نفسه فيقول:

أعطِ فلانا الفنجان قبلُ. فإذا طال هذا وكثر ترديد من يقدم القهوة قال الشيخ الوالد: على كيفكم أعطني الفنجان. فيأخذه ويضعه، رحمة بمن يصب لهم، فيستحيون ويقوم بعضهم بأخذه من مكانه. وكان رحمه الله يجيب دعوات الزواج أو الملاك (العقد) ويذهب للعشاء عندهم، وكان يعقد للزوجين دون كتابة أو أجر، بعد أن تُستوفى شروط العقد من وجود ولي للزوجة والشاهدين وكذلك رضا الزوجة. وكان يمازح الزوج ويلاطفه ويؤانسه بمثل قوله له: أول ما دخلت يا وليدي وأنت أبعد الناس عن زوجتك، وبعد الملاك أنت أقرب الناس لها من أبيها وأخيها، ولك الحق من الآن تأخذ زوجتك وتروح بها؛ لأنها أصبحت ملكك وتحت أمرك، ما أحد يستطيع ردك عنها. وكان رحمه الله يحث الناس على الاقتصاد في ولائم الزواج ومحافل النساء وله في ذلك مقالة جميلة يحث فيها وجهاء عنيزة على أن يكونوا قدوة لغيرهم في الاقتصاد في محافل الزواج وتجمعات النساء.

وكان رحمه الله يحب جبر الخاطر فيفاجئ المرضى وكبار السن بالزيارة. وإذا علم أن أحدا من أصدقائه أولم ذهب إليه الشيخ جبرا لخاطره، وقبل الدخول عليهم يطرق عليهم الباب بالعصا وبقوة حتى يعلم من كان بالداخل أن الشيخ يريد الدخول

عليهم، فمن كان منهم يشرب الدخان بالمجلس يطفئه دون إحراج، وكان الجلوس من الرجال والنساء يفرحون بمقدمه فيجلس يتحدث إليهم وينصحهم.

وكان من طريف ما يصنعه الشيخ ويدل على حرصه على دينه أنه كان إذا ذهب إجابة لدعوة يُسِرُّ إلى بعض أصدقائه من طلبة العلم من الذين يرافقونه في الدعوات العامة ومنهم زامل الصالح السليم فيقول له: إذا سمعت الحاضرين أو المدعوين يتكلمون في الناس وأعراضهم، أو يتكلمون بكلام فارغ فاسألني سؤالا أو اذكر مسألة شرعية أو علمية وسوف أقوم بالإجابة عن المسألة. وكان الناس يقدّرون المشايخ بصفة عامة، والشيخ بصفة خاصة، فإذا تكلم الشيخ الوالد يسكت الجميع وينصتون للوالد ويسمعون كلامه، وبهذا يتحول المجلس من مجلس لغو وغيبة وكلام لا فائدة منه إلى مجلس علم وفتوى وفائدة، فيعم نفعه الجميع في دينهم ودنياهم دون إحراج أحد، وهذا من حكمته رحمه الله.

ولا تخلو هذه المجالس من الطرفة والفكاهة الممدوحة، ويُذكر أن أحد الحاضرين من جماعة الوالد وفي بعض هذه المجالس سأل الشيخ عن مسألة (رؤية الرجل لمخطوبته) فقال:

يا شيخ هل يحل لي إذا كان عندي بنت وجاء أحد يخطبها وطلب مني شوفة البنت (النظر إليها) فهل أسمح له يشوفها؟ فقال الوالد: لا بأس ما دام هناك محرم، ومن الأحسن له ولها، وهذا مأمور به في السنة، وبه يطمئن خاطر البنت والرجل. فكان في هذا المجلس أحد كبار طلبة الشيخ الوالد علي الزامل رحمه الله، وهو مرجع للشيخ ولأهل عنيزة في (النحو واللغة العربية) وكان رحمه الله كفيف البصر، فقال للشيخ الوالد وهو يمازحه: يا شيخ وحنا (ونحن) يا كفيفين البصر ما نقدر نعرف عن البنت شيء، هل هي زينة أو شينة، فهل يصح لنا أننا نلمس بأيدينا؟

فضحك الحاضرون في المجلس وضحك الشيخ الوالد من هذا السؤال وهو يعرف أنه يمزح. والشيخ علي المحمد الزامل عرف بدروسه العلمية والرد على أسئلة المستفتين وله طلبة كثر من أهل عنيزة. توفي رحمه الله في عام ١٤١٨هـ.

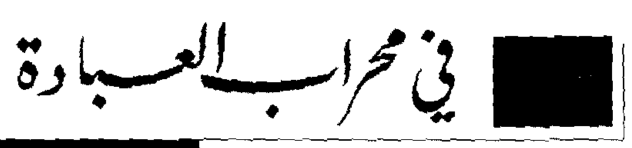
وكان الوالد رحمه الله يكره أن يُمدح في المجالس العامة خاصة عند تواجده في المجلس؛ لذلك أنكر رحمه الله على بعض ملازميه وواحد من محبيه عندما قام بمدح الشيخ في أحد المجالس وكان الحضور كثيرًا وكان الوالد موجودا في ذلك المجلس، فقام

الشيخ بعد خروج الناس وتفرقهم وقال للمادح: أرجوك لا تعود لها مرة ثانية، ولا تمدحني قدام الناس خاصة إذا كنت حاضر في المجلس، فإذا كان لا بد من ذلك فأرجو أن يكون ذلك من وراء ظهري وفي غيابي وفي مجلس لا أكون فيه.

وكان رحمه الله كثيرا ما يمازح الصغير والكبير، والغني والفقير، وكان يتحرى الصدق ويبتعد عن مبتذل الكلام فيحيط المجلس بالسرور والأنس.

* * *




في محراب العبارة



# في محراب العبادة

الحديث عن العبادة والصلة بالله رب العالمين أمر هام في حياة كل إنسان، وفي حديثنا عن الشيخ رحمه الله وعرض مواقف من حياته لا بد أن نتعرض لهذا الجانب ولو بإشارة عابرة تروي ظمأ المتلهف لسماع شيء عن الشيخ ومعرفة شيء عن حياته.

قلنا إنه اعتاد أن يحيي آخر الليل بالصلاة والذكر، فيصلي ما شاء الله له أن يصلي، وأنه كان حريصا على قيام الليل في مقامه وسفره، وكان رحمه الله يوضع له الماء بالطاية (السطح) لأجل الوضوء لصلاة التهجد،، وكان غسوله (وَضوءُه) لا يزيد عن ملء كأس أو كأس ونصف الكأس فقط.

وفي ليالي شتاء عنيزة يكون الماء باردًا جدًّا، وفي بعض السنين يتجمد الماء، ومع ذلك يتوضأ منه، وقد شاهدت في إحدى المرات -وأنا في عنيزة- سطح ماء وضوئه قد تجمد، ومع

ذلك لم يكلف أحدا أن يسخن له الماء، وهذا من سماحته رحمه الله، وابتغائه الأجر في إسباغ الوضوء على المكاره[1].

وكان رحمه الله قليل الأكل، متزهدا في مأكله ومشربه، فهو يصوم أيام البيض من كل شهر، كذلك الأيام التي حثَّ رسول الله ﷺ على صومها، وكان في شهر رمضان يكثر من تلاوة القرآن الكريم ومراجعة حفظه، فبعد صلاة العصر من شهر رمضان يتدارس القرآن الكريم هو والمرحوم سليمان العلي الزامل رحمهما الله، كل واحد يقرأ نصف جزء غيبا بالتناوب؛ فيقرأ الوالد ويستمع سليمان العلي ويتابعه ويصحح له، ثم يقرأ سليمان العلي ويتابعه الوالد ويصحح له، وكان يحرص في شهر رمضان إلى جانب قراءة القرآن الكريم على تفسيره، وله كتاب "المواهب الربانية" وهي فوائد قرآنية استنبطها أثناء تلاوته للقرآن الكريم في شهر رمضان، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه، وله كتاب "القواعد الحسان لتفسير القرآن" بدأ تأليفه أيضًا في شهر رمضان.

---

(١) ثبت في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟". قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط".

# أخلاق

# أخلاقه

كان رحمه الله سهل الخلق متواضعًا جدًّا، يحبه الصغير والكبير، متبسطًا غير متكلف، متحببًا للناس ومحبًّا لهم. وكان يقوم بخدمة نفسه ولم يكن يحب أن يثقل على أحد، فمثلا لم يطلب إلينا مساعدته في نسخ كتبه ومؤلفاته وكان هو الذي يخط مؤلفاته بيده، وفي بعض الأحيان يقوم بنسخه أكثر من مرة، وإذا كان مشغولًا أو مجهدا يستأجر من يقوم بنسخ كتبه وبعض مؤلفاته ورسائله، خاصة من كان منهم جيد الخط جميله.

وللشيخ أشخاص معروفون استعان بهم في نسخ بعض مؤلفاته، ولا نزال نستعين بالأحياء منهم -جزاهم الله خيرا- في قراءة ونسخ كتب الشيخ لمعرفتهم بطريقته وأسلوبه وخطه، وكان كذلك يقوم بخدمة ضيفه بنفسه كما هي عادة أهل نجد فهو الذي يعد القهوة والشاي بنفسه له ولضيوفه.

ورغم أنه كان للشيخ رحمه الله خاصةٌ من الأصدقاء إلا أنه كان يُشعر كلَّ مَن له به علاقة أنه من خاصته، وهذا من حسن عشرته.

## خدمته لعامة الناس

كان للشيخ رحمه الله دور بارز في إصلاح ذات البين، وكانت كثير من العائلات والأسر في عنيزة تطلب من الشيخ أن يتدخل للإصلاح بينهم، وكان رحمه الله يعمل على تهدئة المتخاصمين وإصلاح ذات البين، ويطلب من المشتكي أن يعفو عن المشتكى، وكانت كلمة الشيخ مسموعة بين الناس، وكان له كذلك دور إصلاحي بين الرجل وزوجته، فكانوا يرضون بحكمه.

وكان رحمه الله يكتب وصايا الناس ويَشهد عليها لثقتهم به وبأمانته. وينصح لهم ويرشدهم إلى الحق من القول والفعل.

وكان الشيخ رحمه الله محط آمال الناس في تبليغ حاجاتهم للأمير، فإذا كان لهم مطالب يتصلون بالشيخ الوالد ويشرحون له مطالبهم، فكان الوالد لا يتأخر، فيكتب لأمير عنيزة بما تقتضيه المصلحة، ويعطيني الكتاب (الرسالة) ويقول لي: ضع الكتاب (الرسالة) بمحل مفتاح باب الأمير وخله (اتركه).

وكان أهل عنيزة وغيرها يرسلون للوالد صدقات وزكوات ليقوم رحمه الله بتسجيلها وتوزيعها بمعرفته، ثم يبعث برسائل إلى أصحاب الأموال يبين لهم أوجه صرف المال، فيقول: جانا منكم كذا، وعطينا فلان كذا وعطينا فلان كذا، والله يخلف عليكم بالدنيا والآخرة. وبعض الناس يرسلون للوالد بعض المال ويطلبون منه تسليمه إلى أشخاص معينين، فيقوم الوالد بطيب نفس بإيصاله بنفسه خدمةً لهم، وهذا دليل ثقة الناس به من أهل عنيزة ومن خارجها[1].

## عمله في بيته

كان رحمه الله يقوم بصيانة البيت بنفسه مثل فَتْحِ باب في الجدار، أو عمل رفوفٍ، أو ترقيع بالبيت، وكل سنتين يقوم بنفسه بتنعيل السطح (عمل لياصة من الطين بين وارش السطح والسطح نفسه)، وإغلاق الشقوق وذلك من أجل ألا يتضرر البيت من شدة المطر.

وكانت له كذلك عناية ببهائم البيت، وكانت عندنا بقرة وكان

(١) وسيأتي أن التجار كانوا يرسلون إليه زكواتهم ليفرقها بمعرفته.

يواليها بنفسه يوميًّا، وما ينام إلا وقد أشرف عليها، وتأكد من وجود عشائها خصوصًا في فصل الشتاء وفي الأيام التي يشتد فيها البرد، فيعطف عليها، ويطعمها بنفسه، ويتأكد من أن مكانها نظيف ودافئ. وكان رحمه الله في أول أمره يغسل ملابسه بنفسه بالشنان (نوع من أنواع الأعشاب) أو صابون القوالب، وذلك لأن الوالدة رحمها الله كانت تقوم بباقي أعمال المنزل، ولم تكن عندها خادمة تخدمها وتساعدها أول الأمر.

وما كان رحمه الله يحب أن يكلف أحدا من أبنائه بعمل من أعمال البيت أو غيره أو مساعدته في ذلك، بل كان يباشر أعماله بنفسه رحمه الله، وكان رحمه الله يحمل الأحجار الثقيلة بنفسه إلى الجصة (محل حفظ التمر) دون مساعدة من أحد، وظهر أثر ذلك في جسده، ولم يشتك لأحد، فعلمنا بعد وفاته أن به فتاقا في بطنه من حمل الأشياء الثقيلة.

## حفظه للأسرار

وكان رحمه الله يحفظ السر ويكتمه ولا يفشيه حتى لأقرب الناس إليه، فالناس يثقون به رحمه الله، فتأتي المرأة تخبره بما حدث لها مع زوجها والرجل يشتكي عنده من زوجته، وهذا يسأل

عن أمر خاص وذلك يستشير في زواج، ويأتي الرجل يستفتي الشيخ عن موضوع خاص، وتُعرض عليه المشكلات بين الناس ويشير عليهم، ومع ذلك لا يخبر أحدا بما حصل أو كان، فكنا نعرف ذلك من أصحاب الشأن ومن لهم علاقة بهم، أما الوالد فكان حريصًا على حفظ أسرار الناس ولا يفشيها لأحد أيًّا كان.

* * *

# الشيخ والفتوى



# الشيخ والفتوى

ما أكثر ما كان الناس يرجعون للشيخ فيما يريدون الاستفتاء فيه، وكان هو يفتيهم ويرشدهم وينصح لهم، وينكر عليهم ما يراه مخالفا للشرع. فمن الأمور التي كان ينكرها عليهم مثلا ما قد يكون أحيانا في وصاياهم؛ فعندما يأتيه الرجل من عامة الناس ويوصي بهذه الوصية الجائرة التي توارثوها عن آبائهم وقولهم: (الذكور وما تناسلوا والبنت حياة عينها)، فهذا مخالف لقواعد الشرع من ناحيتين:

**الأولى**: أن هذه الوصية تعطي البنت نفس نصيب الذكر.

**والأمر الثاني**: أن البنت إذا ماتت لا ينتقل هذا المال إلى أولادها، فكان رحمه الله يتوقف عن الكتابة وينصح الموصي بخير منها.

وكان رحمه الله يجتهد في النصح للناس، سواء من يطلب

منهم نصحه في وصية أو في أمر من الأمور التي يجتهد فيها الناس في طلب المشورة من العلماء. وأذكر هنا أنه جاءه رجل يطلب منه المشورة في وصية يعمل بها بعد موته لأعمال البر، وقد كتبها أو يريد من الوالد كتابتها، فقال له الشيخ الوالد: يا أبو حمد أريد أن أسألك سؤالا، إذا كنت تمشي في ليلة مظلمة ومعك رجل قد أمسك لك السراج، هل تجعل هذا الرجل يمشي خلفك أم تجعله أمامك؟ أي الحالين أحسن وأفضل؟ قال السائل: بل أجعله أمامي في المقدمة. ففهم هذا الرجل قصد الوالد وعدل عن رأيه.

وكان رحمه الله لا يحب شق صف المسلمين وأهل البلد ولا يحب أن يتدخل في القضاء وفي شؤون قاضي البلد، فمما يؤثر عنه أنه كان يرى أن الطلاق بالثلاث في مجلس واحد بأنها طلقة واحدة، لكنه لا يفتي بهذا؛ لأن الفتوى الرسمية في ذلك الوقت كانت بخلاف ما يراه، فإذا جاءه الرجل يسأله في موضوع الطلاق أمره أن يذهب إلى القاضي ولا يجيبه على سؤاله؛ لأنه يرى في ذلك مصلحة عامة للمسلمين.

وكان رحمه الله يراعي أحوال المستفتين ولايشدد عليهم بالفتوى، وأذكر أنه في مجلس من المجالس استفتاه رجل من محبي الغناء الشعبي (السامري) وقال له: يا شيخ نحن (يقصد

ربعه) نطلع بالليل بعد صلاة العشاء الأخير إلى خارج البلد ونجلس نغني، فهل علينا ذنب بذلك؟ فقال الشيخ: هل أنتم تذهبون وقت صلاة أو تتركون الصلاة؟ فقال السائل: لا يا شيخ. قال له: هل غناؤكم فيه أشعار ساقطة ومجون ومنكرات؟ قال السائل: لا يا شيخ. قال له الشيخ: إذا كان الحال كما تقول فلا بأس بذلك.

وكان الشيخ حريصًا على أن يجيب على أسئلة الناس خاصة النساء وهن كثر، فيحضرن إلى بيته من جهة باب الدار (باب أهل البيت أو ما يسمى في الوقت الحالي باب الحريم) فيجلسن ينتظرن الشيخ، فإذا جاء الوالد إلى البيت سلم عليهن وجلس يرد على أسئلتهن بنفسه، وإذا كانت السائلة محرجة من إلقاء السؤال على الشيخ فهي تقوم بإلقاء السؤال سرًّا على الوالدة وتقوم الوالدة بنقل السؤال إلى الوالد مباشرة، وهن يسمعن كلام الوالدة للوالد ويقوم الوالد بالرد والإجابة على السؤال بصوت يسمعنه كلهن والسائلة بصفة خاصة.

وكان الناس في أحيان كثيرة يسألونه عن تفسير رؤاهم المنامية، فيعبرها لهم، وإذا كانت الرؤيا مزعجة يطلب من السائل أن يتقي الله ويتصدق، أو أن يعمل أعمالا فيها بر ومنفعة له ولدينه، وكان يعلمهم الآداب الشرعية والسنة عند رؤية مثل هذه

الأحلام المزعجة، وإذا كان الحلم أو الرؤيا فيها خير للرائي بشَّره وطلب منه أن يشكر الله على ذلك.

* * *

# مواقف من حياة الشيخ

# مواقف من حياة الشيخ

وبعد هذه المقدمة سوف أستعرض لك صفحات من المواقف الجميلة التي عشتها مع الوالد، والتي لم أنسها ولن أنساها إن شاء الله، فتعال لتعيشها معي كما عشتها معه:

## بديهةٌ لامعة!

كان للوالد الشيخ عبد الرحمن صديق عزيز عليه اسمه عبد العزيز الدامغ وهو الملقب بـ"ضعيف الله"، في أحد الأيام وهما يمشيان مع جماعة الوالد، وكانوا يتطارون (يتذاكرون) العمر (السن)، وكان عمر ضعيف الله ٦١ سنة ذلك الوقت. فقال له الوالد رحمه الله: يا أخ عبد العزيز يكفيك عمر النبي ﷺ، قال: زين (حسنًا) لكن نبتدى يا شيخ من الآن، يعني بذلك أنه يريد يكون عمره ١٢٤ سنة، فأعجب الوالد بسرعة بديهته وصار يرددها عليه رحمه الله ويذكره بها.

## مشغول طَوَال السنة!

للوالد رحمه الله صديق ألح على الوالد في دعوته له على قهوة بالظهر أو بالليل، وكان ذلك في أواخر شهر ذي الحجة، لكن الوالد اعتذر له مازحًا يريد أن يداعبه وقال له: لا أستطيع عندي مواعيد كثيرة. لكن الرجل ألح على الوالد وهو منفعل، فلما رأى الوالد أن الرجل مُصرٌّ على دعوته قال الوالد: كل هذه السنة عندي مواعيد، لكن سوف أواعدك أول السنة الجاية (القادمة). فدهش الرجل لمفاجأته بعدم القبول وبُعْدِ الموعد وقال الرجل للوالد: لا أنت أكيد ما تريد تطب (تدخل) محلي. قال له الوالد: يا أخي أنت تعرف أن يوم الثلاثاء القادم يعتبر من السنة الجديدة أي بعد يومين، وأنت ما قبلت الموعد (يمزح معه). فتعجب الرجل من الوالد وضحك من قوله ورضي بموعده.

## سحرة فرعون!

كان الوالد ذاهبا للحج مع إبراهيم المحمد البسام على بعارين ومعهم جماعه عددهم ثمانية أنفار (أفراد). كل شيء في تلك الرحلة على ما يرام، وكان معهم سليمان البراهيم البسام حاجًّا معهم وكان راكبا على بعير القِرَب (بعير الماء)، فلما وصلوا

إلى مكة وخرجوا إلى عرفات، وعند نزولهم فيها ذهب كل واحد منهم في وجه واختلفوا في المكان، وسليمان البراهيم معه الماء والجماعة ينتظرونه يريدون أن يغتسلوا ويشربوا ويعدوا القهوة والشاي، والماء معه وهم لا يعلمون مكانه.

في النهاية وصلوا إلى محلهم في منى، وآخر من وصل سليمان البراهيم على بعير الماء، فقام إبراهيم المحمد البسام يهوش (يلوم بعنف) مازحا سليمان البراهيم ويقول له: وينك؟ ليش تأخرت؟ أكيد إنك ضيعت الدرب. لكن سليمان البراهيم عرف أن الوالد الشيخ رحمه الله كان أحد الضائعين، وما رجع للجماعة إلا في منى، فالتفت سليمان البراهيم إلى إبراهيم المحمد وقال له وهو يشير إلى الوالد: هذا كبيرهم الذي علمهم السحر، ضايع قبلي، ليش ماتهاوشونه (تلومونه) يا إبراهيم مثل ما هشتوني؟

قال: حنا نبي (نريد) الماء ما نبيك. فضحك الوالد وضحكوا جميعا واستأنس الوالد من كلام سليمان البراهيم، فصار يرددها عليه، ويقول له: الله يهديك يا سليمان شبهتنا بسحرة فرعون، ترى هذه تبي حق يا سليمان.

## المتعففون

في شهر رمضان يأتي للوالد زكوات وصدقات من الناس والتجار، وهو يفرقها على الفقراء والمحتاجين حسبما يرى، وأذكر وأنا صغير يعطيني صرة فيها فلوس ويقول لي: أعط فلانا (من المحتاجين) وقل له: هذه الفلوس التي أخذها الوالد منك، يعني بذلك السلف (الدَّيْن). وأنا أحسبها حقيقة وهي تورية، وعندما كبرت عرفت أن هؤلاء المحتاجين من كبار الحمايل في عنيزة لكنهم متعفِّفون والوالد الشيخ لا يريد أن يحرجهم، وهو رحمه الله يقدر الناس وينزلهم منازلهم، أما الناس المحتاجون من عامة الناس فيعطيهم بنفسه أو يعطي أحدا من الذين يثق بهم لكي يوصلها لهم.

## علبة الدخان

اشترى الشيخ الوالد رحمه الله حمل حطب، وعادة أهل عنيزة عندنا إذا اشترى الواحد حطبًا يدخل الجمّال الحطب داخل البيت وإذا انتهى من عمله يضع له أهل البيت تمرا وماء، وإذا أكل وشرب يغلق باب البيت بقوة بقصد إخبار أهل البيت أنه خرج من البيت. في إحدى المرات لما خرج الجمال، جاء الوالد يريد

إغلاق الباب عقب (بعد) الجمال فوجد الوالد بالحوش في طريقه للباب علبة عرف الوالد أنها علبة دخان طايحة (ساقطة) من الجمال، قام الوالد وأخذ العلبة وفتح الباب ونادى الجمال، وقال له الوالد: هذي لك؟ يعني بذلك علبة الدخان، قال بعد تردد: نعم هذه لي، لكنك يا شيخ تدري وش فيها (ما بداخلها)؟ قال الوالد: نعم دخان. قال الجمال: وتعطينيها يا شيخ؟ قال الوالد: نعم؛ لأنك إذا ما لقيت العلبة سوف تشتري بقيمة الحطب الذي بعته بدلا منها وتجوّع عيالك وتحرمهم من الرزق والهادي الله سبحانه. قال له الجمال: باسم الله.. وأخذ العلبة وكب (رمى) ما فيها من دخان وأوراق بالأرض، وقال: اللهم إني تبت إلى الله ولن أعود للدخان مرة أخرى.

## إجابة السائل أَوْلى

في يوم من الأيام كان الوالد رحمه الله جالسا يتعشى مع الأخ أحمد العبد الرحمن السعدي رحمه الله. وهما يتعشيان طُرق باب القهوة، فذهب الأخ أحمد ليفتح الباب فوجد رجلا أجنبيا (من غير أهل عنيزة) فقال الرجل للأخ أحمد: الشيخ موجود؟ أبي (أريد) الشيخ. قال الأخ أحمد: الشيخ غير موجود سوف يأتي بعد

شوي (قليل). فذهب الرجل السائل، ورجع الأخ أحمد وجلس يكمل عشاه مع الوالد. فقال له الوالد: من عند الباب؟ قال الأخ أحمد: أجنبي يسأل عنك وقلت له: إنك غير موجود بالبيت وسوف تأتي بعد قليل، ارجع مرة أخرى فقد يكون الشيخ بالبيت. (قصد الأخ أحمد أنه ما يزعج الوالد ويمنعه من عشاه). قال الوالد للأخ أحمد معنفا: ليش (لماذا) تعمل هذا العمل؟ وليش (لماذا) تقوله إني غير موجود؟ يا وليدي أحب لي أن أقوم وأجيب السائل من جلستي على العشاء. فقام رحمه الله من العشاء غاضبًا وما أكمل عشاه وقال للأخ أحمد: لا تعد لها مرة ثانية الله يصلحك.

## برقية الجن!

في أحد الأيام ونحن خارجون من الجامع الكبير بعنيزة بعد صلاة العشاء راجعين الى البيت، قابلنا المرحوم عبد الرحمن الدامغ إمام مسجد الخريزة وكنت مع الوالد رحمه الله، فقال المرحوم عبد الرحمن الدامغ: يا شيخ يقولون إنه جاية برقية إلى بريده (جهاز إرسال البرقيات) ولا تشتغل هذه إلا بعد ما يذبحون عندها كل سنة تيس، ولا يذكرون الله عليه (يظن أن البرقية تحملها الجن أو الشياطين). فضحك الوالد رحمه الله ثم قال له:

يا أخ عبد الرحمن هذه وسيلة نقل مباحة، ولو كانوا يستخدمون الشياطين أو الجان ما نقلت اسم الله ولا قراءة القرآن، والبرقية عادة يذكر فيها أسماء الله في كلمة عبد الله أو عبد الرحمن وهي من أسماء الله، أو آية من سورة، فكيف تكون الجن هي التي تنقلها؟ ثم يا أخ عبد الرحمن مثلا لو ينقطع من هذه الآلة سلك صغير مثل شعرة اللحية كان ما اشتغلت هذه الآلة ولا أرسلت البرقية، فكيف تصدق بهذه الخرافات؟ هذه نعمة من نعم الله؛ حيث إنها تنقل الأخبار وتوفر الوقت وتعلم عن الرايح والجاي (القادم)، وبواسطتها يعلنون دخول شهر رمضان وثبوت العيد، فلا يدخلك أي شك يا أخ عبد الرحمن، وعسى الله يجيبه (يحضره) عندنا بعنيزة؛ لأنه من وسائل الاتصال السريعة التي تخدم الناس وتنقل الأخبار. فاقتنع الشيخ عبد الرحمن الدامغ.

## ريالان فضة

كانت الوالدة رحمها الله قادمة من الحج، وفي يوم وصولها رحمها الله، كان عبد الرحمن ولد أخي أحمد وعمره ٣ سنوات عندهم بالبيت يلعب، وفي المساء يرجعونه إلى أمه. وفي الليلة الأولى لوصولها رحمها الله لعب الولد الصغير بساعة الوالد التي

يضعها عند فراشه فقفل محل الخرش (الجرس)، ونام الوالد والساعة مقفولة وهو لا يعلم بفعل الصغير، فغلبه النوم وما قام تلك الليلة وتأخر عن إمامة الناس في صلاة الفجر. والقصة تدور على عبد الرحمن البراهيم العبد المحسن البسام وعمره في ذلك اليوم ١٢ سنة. فلما سلم الشيخ الوالد من صلاة العصر وكان المسجد يغص بالمصلين في ذلك الوقت لقرب الجامع من السوق، وشرع عبد العزيز المحمد البسام يقرأ بين يدي الوالد كما هو المعتاد والشيخ يشرح، قام عبد الرحمن البراهيم وتكلم بصوت مرتفع وقال: هناك الأول يا أبو عبد الله (يعني به الشيخ) قرة عينك بأم عبد الله والحمد لله على السلامة، الفجر ما صليت بالجماعة، الظاهر أن أم عبد الله نايمة على راسك، لا تتعود لها مرة ثانية. فلم يتمالك الوالد نفسه فضحك من قوله وضحك جماعة المسجد كلهم. فاستحى عبد الرحمن البراهيم من قوله، وما حدث ذلك اليوم من طرافة الموقف جعل الشيخ يتذكره ولا ينساه وكان يذكره لنا، وبعدها قام الشيخ الوالد رحمه الله من مكانه وذهب إلى عبد الرحمن البراهيم وأعطاه ريالين عربي فضة إرضاء له؛ لأن الوالد استأنس بكلامه وصار ما حدث هو حديث الناس ذلك اليوم، حتى إن درس ذلك اليوم لم يكملوه.

## مراجعة اللغة في الصلاة!

عند باب مسجد الجامع الكبير بعنيزة توافق الوالد رحمه الله مع عبد المحسن البسام وكان في ذلك اليوم عاقبة مطر. فسأل الوالد رحمه الله عبد المحسن البسام عن سوقهم. فأجاب عبد المحسن وقال له: يا شيخ السكر زايد والخام فيه نزول والقهوة كذا وكذا . . . قال له الشيخ الوالد: أنا ما أسألك عن التجارة أنا أسألك عن سوقكم (الطريق - الشارع) هل طريقكم زين أو شين عقب المطر، من أجل أننا نبي (نريد) نجمع فإذا كان السوق زلق وطين وعلى الناس كلافة جمعنا الصلاة.

ولعبد المحسن البسام مواقف طريفة مع الوالد منها أنه لما كان يتعلم اللغة الإنجليزية عند الحريقي قال للوالد: يا شيخ إذا صفيت أصلي قمت أتذكر وأراجع الكلمات الإنجليزية التي درستها عند الحريقي يجوز أو ما يجوز؟ فيضحك الوالد ويتعجب من سؤاله.

## انتبه . . الشيخ موجود!

يخرج الوالد رحمه الله من بيته في بعض الأوقات أو يدخل من جهة بيت البسام أو بيت أخته (حصة) جدة علي الشيوخ؛ لأن

بيوتهم قريبه للمسجد، فيسقط عنه ثلاثة أرباع المسافة، وخاصة إذا كان الوقت ضيقًا حرص على الذهاب من هذه الجهات، فيخرج من بيت البسام أو من بيت أخته، وكانت نساء البيتين محارم له ولا يحتجبن عنه، ويوجد مدخل من بيوتهن لبيته. وفي أحد الأيام دخل الوالد على بيت الخال إبراهيم البسام (خالي من الرضاعة) وكان عبد الرحمن ولد الخال دعا ناسا من ربعه على قهوة، والوالد كعادته دخل من بيت البسام ومر عليهم وأصروا على دعوته ليتناول القهوة، واستجاب لهم، وفعلا جلس رحمه الله يشرب معهم فنجان قهوة وشاهي، وأثناء ما كان الوالد جالسا دخل عليهم عبد المحسن البسام، وهو لا يعلم أن الشيخ الوالد عندهم، وكان عبد المحسن قد سمع بالمذياع أغنية قبل دخوله بيت عبد الرحمن البراهيم البسام، وهو يحب يسمعها، فدخل يركض وهو يقول بصوت مرتفع: يا عبد الرحمن افتح المذياع، فيه أغنية كذا وكذا. ودخل المجلس وهو يرقص ويردد كلمات الأغنية والقهوة ظلماء معتمة وقام يدور بالقهوة ويتنكس طربا، ولم يعلم بوجود الوالد رحمه الله، فلما شافه الوالد على هذه الحالة وحتى لا يحرجه أو يستمر على ما هو عليه رد عليه وقال له: الله يهديك يا أبو براك أثرك هواوي (يعني طروب). وهو

يضحك رحمه الله، فانتبه عبد المحسن على صوت الوالد، وخجل منه وضحك من كان في القهوة على عبد المحسن، ولما خرج الوالد من عندهم، قال لهم عبد المحسن: ليش (لماذا) ما علمتموني أن الشيخ موجود لقد خجلت من الشيخ ومن الرقص قدامه بالمجلس وترديدي لها.

## بيتي أقرب!

كان هناك رجل عرف عنه أنه متهاون في الصلاة مع الجماعة، كذلك يحصل منه تعديات على نفسه وعلى غيره، فعرف الشيخ بقصة هذا الرجل وحاله وتصرفاته، فصادف يوم من الأيام أن قابل الوالد الرجل في الشارع فسلم عليه الوالد ورحب به وقال له الوالد: تعزمني يا فلان أو أنا أعزمك؟ قال الرجل: أنا أعزمك يا شيخ. فقال الوالد: لكن خلنا نشوف أول (دعنا نرى أولًا) من كان بيته أقرب من الثاني تكون القهوة عنده. قال الرجل: سم (نعم). فلما نظر الرجل وجد أن بيت الوالد أقرب من بيته.

فقال الوالد: بيتنا أقرب من بيتكم، تفضل معنا. وهذا من فطنة الوالد وحتى لا يحرجه الشيخ بالذهاب إلى بيته وهو أقرب إلى ستر الرجل من فضحه؛ لأن الناس لو شاهدوا الشيخ داخلا بيت الرجل

سوف يستغربون ذهابه إلى بيت ذلك الرجل، المهم أن هذا الرجل ذهب مع الوالد ودخل قهوتنا وشب (أشعل النار) الوالد وأعد له القهوة والشاهي وجلسوا يسولفون (يتحدثون) حتى استأنس الرجل بالوالد ثم قال له الوالد: يا فلان كثير من الناس يتكلمون عنك ويقولون: إنك ما تحافظ على صلاة الجماعة وإنه يحصل منك تعديات، وأنا ما صدقت هذا الكلام لأنك من عائلة محترمة ومعروفة، لكن يا وليدي تعرف الناس، يتعرضون لكل واحد، ولو صار الخطاء من غيرك نسبوه لك، فالأحسن لك يا وليدي أنك تترفع عن هذه الأمور وترفع نفسك عن هذه السوالف ولا تكن عرضة لكلام الناس.

فاقتنع الرجل بكلام الشيخ الوالد، ويقال: إنه تاب وتراجع وكان من المحافظين على صلاة الجماعة خاصة صلاة الفجر، ولم يتعرض للناس بعد ذلك اليوم، ويقول لي: إن كلام الشيخ أثر علي والحمد لله.

## استقلال الولد عن أبيه

لما تزوج الأخ عبد الله (الأخ الأكبر) في عنيزة وكانت عادة أهل نجد أن الولد إذا تزوج يسكن مع أهله، وكنا نحن أبناء الشيخ

ساكنين مع الوالد في بيت واحد، ولما رزق الأخ عبد الله أولادا، طلب الوالد منه أن يبحث لنفسه عن بيت ويستقل فيه هو وعياله، وكان قصد الوالد أن يأخذ ولده عبد الله حريته هو وزوجته وعياله في بيت خاص لهم، لكن الأخ عبد الله عارض هذه الفكرة في بادئ الأمر، والسبب أن خروج الولد من بيت أهله عيب وغير مقبول اجتماعيا عند أهل عنيزة في ذلك الزمان.

فقال للوالد: أنا مرتاح بالجلوس معكم وآخذ حريتي، وأخشى أن الناس يتكلمون علينا ويقولون: إنه بيني وبينك سوء تفاهم، وهذا ما لا أرضاه لي ولا لك. قال له الوالد: لا يهمك هذا الأمر خله علي، إذا صار فيه مناسبة سوف أبلغ الناس بأن الواحد إذا كان له أبناء متزوجون وهو مقتدر وعنده عيال كثر وهو غير محتاج لخدمتهم يسمح لهم بأن يستقلوا في بيوت أخرى حتى يأخذوا حريتهم داخل البيت. المهم الأخ عبد الله خرج من البيت وسكن في بيت مستقل ووسع على عياله وزوجته، ولم يتكلم الناس، وصارت هذه الحادثة قدوة ومثلا عند الناس وأدركوا أن خروج الولد من بيت أبيه لا يعني وجود سوء تفاهم بين الوالد وولده وعرفوا كذلك أن هذا الانتقال أفضل للولد المتزوج.

## الوصول إلى القمر!

للشيخ الوالد رحمه الله تصور ووجهة نظر في ذلك الزمان عن حادثة وقضية محاولات وصول الأمريكان للقمر، خاصة أن الناس يستبعدون ذلك. ففي يوم من الأيام كانت عندي دائرة قهوة (دعوة شاي وقهوة تدور بين الأصدقاء) وكانت وقت الضحى، والوالد رحمه الله يستأنس إذا جاء عندي أحد أو اجتمع في بيتنا الأصدقاء على القهوة. المهم دخل الوالد علينا بالقهوة وجلس عندنا يشرب القهوة، وكان سليمان الصالح العليان رجل الأعمال المعروف رحمه الله معنا بالدائرة، فسأل سليمان الوالد وقال له: الأمريكان يا شيخ يقولون إنهم يحاولون يروحون (يطلعون) للقمر، وش رأيك يا شيخ؟ فرد عليه الشيخ وقال: هذا ممكن يا سليمان وبواسطة آلة ترفعهم إلى القمر أو أي سلطان آخر، فقرأ رحمه الله الآية من سورة الرحمن: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ ﴾ [الرَّحمـٰن: ٣٣]، وكنا ذلك اليوم في الدائرة (القهوة) عشرة أشخاص حاضرين وسامعين كلام الوالد، فتعجبوا من كلامه، حتى إن بعضهم لم يستوعب السؤال ولا الجواب لأن الحدث كان سنة ١٣٦٠هـ تقريبًا. وفي عام ١٤١٨هـ لما كنت في سويسرا ذهبت إلى (فندق

برزدنت) للسلام على الشيخ عبد العزيز التويجري، وكان ساكنًا بالفندق ذلك الوقت وعنده جلسة قهوة وشاهي بعد صلاة العصر في صالة الفندق، والشيخ التويجري يحب الوالد رحمه الله كثيرا جزاه الله خيرا، وكان يقول: ما عمري سافرت لعنيزة إلا وأروح (اذهب) للشيخ ابن سعدي للسلام عليه في بيته.

المهم كان حاضرا معنا في صالة الفندق ١٥ شخصًا من الجماعة، ومن أهل الخليج، ومن بين هؤلاء رجل أمريكي كان عضوا سابقا بالكونغرس الأمريكي، فتحدث الشيخ التويجري وقال للأمريكي بواسطة المترجمين الموجودين معه بصالة الفندق وهو يشير علي: هذا الرجل قد عرف أبوه أنكم يا أيها الأمريكان سوف تذهبون إلى القمر منذ ٦٠ عامًا.

فتعجب الرجل الأمريكي من مقالة الشيخ التويجري أشد العجب، ثم قال الأمريكي: هو (يقصد الوالد) يعترف ويصدق وصولنا إلى القمر قبل ٦٠ سنة! وعندنا في أمريكا أناس كثيرون يكذبون ذلك وينكرون طلوعنا ونزولنا على القمر، ويقولون: إن هذا الأمر غير صحيح، ومع هذا الشيخ ابن سعدي يصدق ذلك؟! هذا أمر عجيب. ثم التفت الأمريكي للشيخ التويجري وقال له:

الشيخ ابن سعدي من أهل المجمعة؟ (لأن الأمريكي يعرف التويجري أنه من أهل المجمعة). فرد عليه الشيخ التويجري وقال له: لا ، ابن سعدي من أهل عنيزة. فكان الرجل الأمريكي طول وقته معنا يتعجب من مقالة التويجري وعن فكر ورأي الوالد.

## سماحة الوالد

في أيام الشباب كان الوالد رحمه الله دائمًا يلح علي أن أدعو ربعي وأصدقائي بالدائرة، خاصة وأنني أذهب لبيوتهم ولا ألزم (ألح) عليهم يجون (يأتون) عندي في البيت؛ لأن بعضهم كان يدخن، وأكثرهم يقدرون الوالد ويقدرون أنهم في بيته رحمه الله. وكانت الدائرة تمر على الواحد منا بالشهرين مرة أو مرتين، لكن بعضهم يتضايق من عدم التدخين، وفيهم من لا يستحيي من وجوده في بيت الوالد ولا يُقدّرون الموقف، وهم قلة، والوالد رحمه الله يعرف منهم هذا لعموم البلوى ذلك الوقت بين الشباب.

ولكن لا يريد أن يصرح لي بالسماح لهم بالتدخين. ويعلم رحمه الله أنني محرج منه ومنهم، ويود (يرغب) أن أعرف ذلك من كثرة ما يلح علي بأن أدعوهم إلى بيتنا ، وكان بعضهم يتجرأ ويشرب الدخان في مجلس بيت الوالد، وكنت أحرج منه جدا ،

ومع ذلك لا أحب أن أمنع المدخن، وفي نفس الوقت ما أحب أن يشم الوالد رائحة الدخان بالقهوة.

وكان الوالد أيضا يغضب ليش ما أعزمهم في بيتنا؟! فكنت في حيرة وصراع مع ذلك الموقف المحرج، فإذا تحريت (توقعت) قدومه أضع قهوة على النار من أجل أن تغلب رائحة القهوة المحترقة رائحة الدخان المنتشرة، والوالد يعرف ذلك لكن يتجاهل الأمر، وكأنه لا يدري! مع العلم أنه هو الذي يقوم عادةً بحمس القهوة ويعرف تغير الرائحة، لكن لم يسبق له أنه سألني عن هذه الرائحة حتى لا يحرجني.

وفي سنة من السنوات سافرت من عنيزة وغبت عن أصدقائي فترة ليست بالقصيرة، وكان بجوار بيت الوالد قريبًا من باب القهوة بيت صغير جدا لواحد من عائلة العجروش وفيه عدد من الغرف وقهوة. وكان البيت المذكور غير مسكون، فقام الوالد رحمه الله بشراء البيت لي ولأخي عبد الله، وفتح بابًا عليه من السطح وبابًا من جهة القهوة، وقام رحمه الله بفرش البيت بالزل (السجاد)، ووضع فيه دلال القهوة وأباريق الشاهي وأكمله بكل شيء. ويوم أن رجعت من السفر إلى عنيزة قال لي: ما لك عذر يا وليدي ادع كل ربعك، ولا تخليهم.

وكان يتحين الفرص لنصح من يشرب الدخان، فمنهم من عصمه الله، ومنهم مَن صابر وقلّل منه، ومنهم من كان يستتر عن الناس، والله الهادي لسواء السبيل.

## الفقيه البصير

كان قريبا من بيتنا بالحويطة بيت لسليمان الستيد، وكان فيه بنّاءون يبنون البيوت والحيطان، ومن عادة البنائين أنهم يغنون ويرفعون صوتهم بالغناء من أجل أن ذلك ينشطهم على العمل .

وفي يوم من الأيام كان الوالد يمشي إلى جوارهم وأنا معه، وكانوا يغنون، ولما قربنا منهم سمعنا رجلًا منهم يقول لربعه: اسكتوا ترى الشيخ جاء.

وفعلًا كان الوالد يسمعهم، لكن الوالد وقف عليهم وسلم عليهم ودعا لهم وقال لهم: الله يقويكم ويعافيكم، وراكم ما تغنون وراكم سكتو عن الغناء (وكان الغناء بأشعار ليست ماجنة وبعضها شعر حربي) ترى الغناء ينشطكم ويقضي عليكم الوقت والله يساعدكم. فاستغرب البناية من كلام الوالد وتعجبوا من موقفه هذا، فشكروه وبدأ الرجال يغنون بعدما غاب عنهم الشيخ.

## الفرار من منصب القضاء

في جمادى الأولى سنة ١٣٦٦هـ تقريبًا مرت على الوالد أزمة قوية أثرت على نفسه وعلى صحته، وحاصل هذه الأزمة هو وصول خبر للوالد بأنه سوف يعين قاضيًا شرعيًّا في عنيزة، وهذا الأمر لا يرغبه ولا يريده وكان يدافعه بكل الوسائل مهما كلفه هذا من أمر؛ لعلمه بعظم الأمر الذي سوف يصير إليه، فسافر الوالد إلى مكة المكرمة، وحرص الوالد بكتمان موعد سفره عن أهل عنيزة، وكان من عادته رحمه الله أن يكلف حمد الجبهان رحمه الله -وهو دلال السيارات- بالحجز للسفر إلى مكة في أقرب سيارة متوجهة إلى الديار المقدسة، لكن الوالد أرسل تلك الأيام إلى الحرابي -وهو صاحب سيارة- وقال له: سوف أذهب معك صباحًا إلى مكة. فكان بصحبته الحرابي وصالح العبدلي وعبد الرحمن العبد العزيز البسام، فلما علم حمد الجبهان بسفر الوالد حزن أشد الحزن و(شره) على الوالد لمحبته له واستنكاره تصرفه رحمهم الله جميعا، فطلب حمد من الشيخ عبد العزيز العقيل أن ينظم له قصيدة على لسانه يعاتب فيها على الوالد رحمه الله وعلى سفره دون علمه، وكان هذا بمشورة الشيخ إبراهيم الغرير رحمه الله. وفعلًا نظم الشيخ عبد العزيز قصيدة قال فيها:

**سلاما على من سار عنا بخفية**
**وقد كنت لا تخفى علي المواتر**
**شرهت عليه حيث دار بظنه**
**بأني لو أُخبرتُ بالسر ناشر**
**وحاشا وكلا أن أبوح بسره**
**إذا قال لي لا يشعر الدهرَ شاعر**
**هنيئا صحيحا رفقة كنتَ فيهمُ**
**لقد كسبوا حظا بتلك المفاخر!**
**علوما وآدابا وتكميل عمرة**
**بوقت اعتدال كان بالذكر عامر**
**ولكن دروس العلم تقفل بعدكم**
**وتهجر هاتيك الربوع العوامر**
**عسى سيدي ألا تطيل بشدة**
**على بلدة كانت إليكم تناظر**

الشاهد من ذلك أنني كنت مع الوالد تلك السنة في مكة المكرمة وفي بيت الأخ عبد الله رحمه الله، وكان عندنا بالبيت أبو عبود صالح العباد (خوي الوالد) ومحمد المنصور الزامل، وفي تلك الأيام زاد على الوالد الضغط من أثر الأزمة وزيادة التفكير بموضوع القضاء، وضاق صدره خوفا من استلام المهمة في عنيزة.

**يقول رحمه الله:** كل أهل عنيزة هم أحبابي ومعارفي وجماعتي، فإذا أصبحت قاضيا عندهم صار نصفهم أصدقاء والنصف الباقي أعداء.

**ويقول أيضا:** إن هذا الأمر لا يمكن أن يحدث بإذن الله.

والوالد لا يحب ولا يرغب أن يصير في القضاء تورعا وخوفا من الظلم، ويرى أمر القضاء مسؤولية عظيمة لا يقدر على تحملها، واشتد الأمر عليه لما سمع أن الملك عبد العزيز رحمه الله في عنيزة تلك الأيام، وأنه قال للأمير: نفكر أن نجعل ابن سعدي قاضيا لكم يا أهل عنيزة.

وتكدر الوالد كدرا شديدا وعظيما، ومن شدة ما يجيه (ما يأتيه) يغمى عليه في بعض الأوقات، وكان يتألم ويأخذ جزءا كبيرا من تفكيره، وقد لا يشتهي الأكل في كثير من المَرات، خاصة إذا جاء على خاطره وفكره هذه الأخبار، وكل هذه الأمور السابقة من التعب والإجهاد النفسي حدثت له، مع إنه لم يُبلَّغ رسميا.

ومن باب الاستطراد يذكر أن أحدا من المشايخ من أهل عنيزة لما بلغه قرار تعيينه قاضيا فيها مرض مرضًا شديدًا حتى لازم الفراش، وانقطع عن صلاة الجماعة من أجل ذلك حتى فرج الله

عنه، وأُعفي منه، وشُفي من مرضه.

والوالد كان عنده أمل وثقة بأن الله سوف يلطف به، ويفكه من القضاء، وكان رحمه الله في آخر الليل وقبل صلاة الفجر يذهب هو وأبو عبود، ومحمد المنصور الزامل، والأخ عبد الله؛ إلى الحرم المكي يصلون آخر الليل ويطوفون ما كتب لهم ثم يصلون الفجر ويجلسون في الحرم المكي حتى الإشراق.

أما أنا فإذا أذّن الفجر قمت وتوضأت وذهبت إلى مسجد سبع أبيار، وهذا المسجد قريب جدا من بيت أخي عبد الله، وعند انتهاء الصلاة أرجع للبيت وأصفر (نومة الصفرة بعد الفجر)، ولا أستيقظ من نومي حتى يرجع الوالد ومن معه بعد طلوع الشمس. وكان أهل عنيزة من سكان مكة المكرمة يفرحون بمقدم الوالد إلى مكة فيدعونه إلى الإفطار الصباحي معهم في بيوتهم، وكنت أذهب معه وأرافقه إلى بيت من دعاه للإفطار في بيته ذلك اليوم.

الشاهد من ذلك أنني في تلك الأيام نمت كالعادة بعد صلاة الفجر وأنا على طهارتي ورأيت فيما يرى النائم رؤيا إلى يومنا هذا وأنا أتذكرها ولم أنسها، وكأني أراها اليوم رأي عين، ومجمل هذه الرؤيا أنني رأيت حية (ثعبان) تهول العقل من رؤيتها، فهي

كبيرة الحجم أُقدّر سمكها والله أعلم بـ ١٥ إنشًا تقريبًا، وهي طويلة جدًّا، هذه الحية (الثعبان) رأيتها في المنام خارجة من جبل ثم نشبت (تعلقت) هذه الحية بحيث لا تستطيع أن تتحرك، وما تستطيع أن تخرج، ولا تستطيع أن ترجع إلى محلها الذي خرجت منه، وكان هناك رهبة منها وهي موحشة من عظم حجمها، والناس مبتعدون عنها وهم يتكلمون فيها وهم على ثلاثة آراء:

**أناس منهم يقولون:** خلونا (دعونا) نفتح الجبل ونطلعها.

**وأناس منهم يقولون:** خلونا (دعونا) نرمي عليها حجارة من أعلى الجبل حتى تموت.

**وأناس منهم يقولون:** اتركوها لوحدها إن طلعت أو رجعت، لا تحركوها ولا تقربوا منها.

المهم قمت من النوم والناس تاركون الحية على حالتها. فأشغلتني الرؤيا ذلك الصباح، ولما فكرت فيها وجدت أن أهل عنيزة كانوا على ثلاثة آراء بخصوص تولي الوالد القضاء:

- ناس يحبون الوالد ويتمنون أن الله يفكه من القضاء.
- وناس من أهل عنيزة ومن العامة يدعون الله أن يصير الوالد قاضيا في عنيزة.

- وناس منهم يقولون: الله يختار الصالح من الأمر كان ذلك أو لم يكن.

المهم كما ذكرت لكم خرجنا جميعًا من بيت الأخ عبد الله إلى بيت واحد من الجماعة كان قد دعا الوالد على الفطور، وبعد خروجنا من البيت كنت غير مهتم ومكترث بالرؤيا ولا ألقيت لها بالًا، وكان الوالد ومحمد المنصور الزامل والأخ عبد الله يمشون جميعًا، متقدمين علينا أنا وأبو عبود، ونحن نمشي خلفهم على مسافة عشرة أو خمسة عشر مترا، والمسافة بين بيت الأخ عبد الله وبيت الداعي طويلة، وكنت أسولف (أتحدث) مع أبو عبود، ثم ذكرت له من عرض حديثي له الرؤيا التي رأيتها، وقصصتها عليه كما رأيتها، والوالد والجماعة قدامنا لا يسمعون حديثنا، وأبو عبود منصت لا يتكلم وهو متعجب من كلامي، وبعدما انتهيت من كلامي له ركض رحمه الله وهو ينادي ويقول: يا شيخ ... يا شيخ ... يا شيخ ... ونحن بالطريق إلى بيت الداعي، فوقف الوالد يرحمه الله، ثم قال أبو عبود للوالد: سمعت رؤيا محمد؟ فقال الوالد: خير إن شاء الله. فقصصت الرؤيا على الوالد وهو منصت والجماعة يسمعون كلامي، فلما انتهيت قال الوالد: خير يكون وشر يهون، يا ولدي إذا صدقت رؤياك فأنا إن شاء الله

افتكيت من القضاء. وفعلًا بعد ثلاث ساعات من هذا الموقف جاء وبواسطة عبد الله المحمد العوهلي وهو شريك للأخ عبد الله في تجارته ثلاث برقيات؛ برقيه من عبد الله العبد الرحمن القاضي، والأخرى من عبد العزيز الصالح الحماد، وكان يشتغل بالديوان الملكي، والثالثة من عبد العزيز العوهلي، وقد عُرف من البرقيات المرسلة من الرياض إلى عنيزة أنه تم تعيين شخص آخر غير الوالد قاضيًا في عنيزة، وقال الملك عبد العزيز رحمه الله: اتركوا ابن سعدي. وكانت البرقيات التي وصلت للوالد لا تحمل التصريح بذلك، بل كانت تحمل في طياتها التلميح، وكانت على شكل اللغز، وفيها يبشرون بأن الوالد قد خرج من المستشفى، وأما برقية عبد العزيز العوهلي ففيها التصريح بأن الوالد قد افتك من القضاء. المهم أنه لم يأت وقت صلاة الظهر إلا وقد وصلت جميع البرقيات، فاستأنس الوالد بها، وفرح أشد الفرح في ذلك اليوم، وخف ما به من ضغط وألم. وكان رحمه الله مترددا في الرجوع إلى عنيزة خوفًا من تولي القضاء، لكن بعد سماعه الأخبار المفرحة وأن الله قد أبعده عن القضاء قرر الرجوع إلى عنيزة في أقرب وقت، والحمد لله رب العالمين.

## الحبحر الحار!

لما كان الوالد بمكة المكرمة دعاه الوزير ابن سليمان إلى وليمة عشاء، وقد حضر عدد من أهل عنيزة منهم حمد الروق رحمه الله. ولما جلس الناس يتعشون، وكان يجلس بجانب الوالد رحمه الله حمد الروق، وكان الوالد يحب الأكل الحار وخصوصًا الحبحر (الفلفل الأحمر) وحمد الروق عكس ذلك، فهو لا يأكل الطعام الحار، فإذا صار في الأكل حبحر (الفلفل الأحمر) ترك الأكل منه وعافه، لكن صادف في ذلك اليوم أن الداعي قد وضع زلطة (سلطة) وقد أكثر فيها الحبحر الحار.

المهم حمد الروق وبدون ما يدري أخذ صحن الزلطة وكبه (رمى ما فيه) بحافته (بجهته) يظن أن الزلطة خاليه من الحبحر، لكن الشيخ الوالد شاهده وانتبه له، وهو يعلم بأن حمد الروق لا يحب الحبحر، وأنه لو أكل منه فسوف يتأذى وقد يعاف الأكل منه، خاصة وأن الحبحر حار جدًّا!! فقام الوالد رحمه الله وبسرعة أخذ كل الزلطة (السلطة) التي وضعها حمد الروق بحافته (بجهته) ووضعها الوالد رحمه الله بحافته هو، وحمد الروق كان غافلًا عنه وما يعلم بذلك، ولما أراد حمد الروق أن يضع يده في الأكل

التفت وشاهد الوالد وقد فعل هذا، وهو لا يعرف قصد الشيخ الوالد وقال له: وش سويت (ماذا فعلت) يا شيخ؟ ليش (لماذا) تنطل (تسرق) السلطة من حافتي؟ وهو يهوش على الشيخ مازحًا، يظن بأن الوالد يمزح معه، قال الوالد له: الزلطة التي حطيتها بحافتك مليانة (ممتلئة) حبحر. قال له حمد: ظلمتك يا شيخ جزاك الله خيرا، والله لو ذقته لما أكلت منه لقمة، ولتركت عشائي كله. واستغرب الناس الحاضرون من سرعة تصرف الوالد رحمه الله، ومعرفته بأحوال وأذواق من حوله، وحرصه على دفع الضرر عن إخوانه مهما كان الأمر ومن غير ما يشعرون، وهذا يدل على حسن تصرفه وحبه لإخوانه.

## حكمة الوالد

مع كثرة مشاغل الوالد رحمه الله الأسرية والعلمية؛ من مطالعة للكتب، وطلب للعلم وتدريس وتعليم، وتأليف للرسائل والكتب، فقد تميز رحمه الله باختلاطه بالناس ومعاشرتهم، والصبر على أذاهم، فأحبه الناس وأحبوه. وكان من عادته -كما سبق ذكره- الذهاب إلى مجالس الناس في بيوتهم (القهاوي) والتي فيها يقدم القهوة فقط، ومن كانت حالته ميسورة ومن أهل

المال والجاه قدم مع القهوة الشاهي، وفي حالات نادرة تقدم الفاكهة، ولما علم أهل عنيزة بحال الوالد واستجابته للدعوات العامة، فكانوا يكثرون عليه ويتسابقون لدعوته رحمه الله إلى مجالسهم الخاصة على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، وكان للوالد دفتر صغير (مفكرة) يكتب فيها مواعيده والتزاماته .

ولما كان الوالد يجد من بعض الضعفاء الإلحاح في الدعوة كانت له مواقف عجيبة معهم وحتى لا يحرجهم ويكسر خواطرهم يعتذر منهم بلطف وتجمل مراعاة لحالتهم المادية أو قلة حيلتهم، فالذين يصرون منهم على الشيخ بالدعوة يعدهم خيرا، وأنه سوف يأتيهم لكن لا يحدد معهم موعدا حتى لا يكلف أحدهم أهله ما لا طاقة له به.

فكان رحمه الله يوفي بوعده فيطرق الباب عليهم أوقات تواجدهم في بيوتهم، فيفاجأون به رحمه الله ويشرب عندهم ما تيسر وقد يكون الماء فقط، فيجلس معهم زمنا يرى فيه أنه قد وفى بالوعد.

وإذا كان الداعي ممن يُشكُّ في شربه للدخان يعمد رحمه الله إلى عدم إحراجهم أو كشف سترهم، فيطرق عليهم الباب ويناديهم

بصوته المسموع أو يجعل زميله أبو عبود يدخل قبله يستأذن له ليعلم أهل البيت بأن الشيخ عند الباب.

فكان لمثل هذه المواقف الأثر البالغ عليهم وعلى تركهم للمنكرات، مع العلم بأن الوالد قد أفرد رسالة لطيفة بتحريم شرب الدخان، ويعرف الناس رأي الشيخ فيه، لكن كانت له حكمة في الإنكار من حيث الزمان والمكان توصل إلى المقصود وكانت لديه مبادئ في الحكم على الأشياء من حيث الحل والحرمة ومبدأ "حتى يسمع منك الآخر يجب أن تقترب منه".

## قصة مغلوطة

أحببت ذكر هذه الموقف لما قرأت في بعض المجلات المحلية قصة ذكرها أحد الكتاب غفر الله له على غير وجهها الحقيقي؛ وقد ذكر الكاتب بأن الوالد تضطره الظروف في بعض السنين إلى بيع بعض حاجاته المنزلية، وشاهده في ذلك بعض الوقائع، وهي على غير ما تصور الكاتب.

وأقول بيانًا لحقيقة ذلك: إن الوالد يصله من بعض أملاك أجداده نصيبه من الورث، وهو عبارة عن كميات من التمر تجلب إلى منزله رحمه الله، وهي تسد حاجة البيت في بعض السنين،

وفي بعضها تزيد عن الحاجة، فلما يحول عليها الحول يضع التمر الزائد عن الحاجة في مواعين صغيرة (طاسات)، ويأمرني بالذهاب بها إلى السوق لبيعها، أو إلى أحد الدلالين؛ أمثال الشبيلي أو الطريف في ذلك الوقت، وأستلم الثمن منهم وأرجع به وبالمواعين إلى المنزل، فمن شاهد الواقعة ظن أن الوالد يبيع أغراض بيته! وهذا غير صحيح، فلم يضطر يوما لفعل ذلك.

## الزهد النبيل

لما كان الناس منذ ستين سنة في شدة وضعف وقلة ذات اليد، حتى إن الأسرة التي تمتلك بقرة تعتبر عائلة غنية أو ميسورة الحال من وجهة نظرهم، ومع ذلك فقد كان رحمه الله يتورع عن أخذ الأعطيات والأوقاف والرواتب المخصصة لإمامة الجامع الكبير بعنيزة، وكانت تقدر بأكثر من ٥٠٠ وزنة من التمر، فأشار عليه أصدقاؤه ومستشاروه، ومنهم عبد العزيز المحمد العوهلي رحمه الله بأخذ المخصص لإمامة الجامع وعدم تركه، وأن يكون التصرف به عن طريقهم لأعمال البر والخير، فتردد قليلًا رحمه الله، ثم استأنس برأيهم ووافقهم على ذلك، فكانوا يأخذونه وينفقونه في أعمال البر بمشورته وإشرافه.

ومما ذكر عن زهده أنه جاء تعيينه مشرفا على المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٣هـ براتب شهري قدره ٢٠٠٠ ريال (ألفا ريال) وهو مبلغ ضخم في ذلك الزمان لكنه رحمه الله أرسل رسالة إلى رئاسة المعاهد العلمية فيها يقول: إنه على استعداد للإشراف على المعهد لوجه الله، وأنه لا يريد أن يكون له على ذلك أجر مادي بل يحتسب ذلك لوجه الله. وقبلت الرئاسة طلبه، شاكرة له هذا الصنيع الذي لا يصدر إلا عن عالم زاهد يبتغي وجه الله تعالى.

## نشاط متتابع

لم يقتصر دور الوالد على الدروس التي تلقى بالجامع الكبير أو المساجد بل تعدى ذلك. فللشيخ الوالد رحمه الله دروس ومحاضرات مرتبة ومجدولة كل ثلاثاء في معهد عنيزة العلمي والمدرسة التي أنشأها ابن صالح رحمه الله، يلتقي بالمعلمين والطلاب ويتحدث إليهم ويوجههم ويشجعهم على طلب العلم، ويحضر احتفالاتهم ومنتدياتهم، ولربما وزع الجوائز الثمينة عليهم. وقد ذكر الدكتور عبد الله العثيمين في مقالة له بجريدة الجزيرة أن الشيخ حضر مسرحية طلابية بالمعهد عن غزوة بدر، كتبها وأخرجها الأستاذ الفاضل عبد الكريم الأسعد الذي كان

يدرِّس اللغة العربية في المعهد حينذاك، وكان خطيبًا مفوَّهًا لا يُشق له غبار، وقد قام بدور النساء المسلمات في تلك المسرحية أحد الزملاء مرتديًا عباءة امرأة، فلعلك عرفت أخي لماذا يحرص المهتمون بكتابة مواقف الشيخ المشرقة.

## بين الترفيه والعلم

في أيام شبابنا بمدينة الخبر كنا نجتمع ببعض الشباب من الزملاء ومن أهل عنيزة، ونرتب يومًا في الأسبوع -عادة ما يكون يوم الخميس- للذهاب إلى منطقة بأطراف الخبر من ناحية العزيزية تسمى الخيس، نشرب الشاي والقهوة وقد نتعشى هناك، ومن ثم نرجع للمبيت بمنازلنا.

ولما كانت السيارات في تلك الأيام قليلة، كنا نجتمع في سيارة واحدة أو اثنتين، وكان الأخ حمد البراهيم القبيس -وهو من أصدقائنا ومن الذين يخرجون معنا- يتكفل بحمل معاميل الشاي والقهوة وأغراض الرحلة بسيارته، وهو قريب عهد بقيادتها، وكان صلفًا (شديدًا) عليها يسرع بها ولا يأخذ حذره مع ضعف بريكات (مكابح) السيارة، ومن لطفه يمر على بعض الزملاء للذهاب معه الى الخيس، وعندما يريد أحد منا الركوب

معه يعلن ويقول بأعلى صوته: لا يركب معي أحد منكم إلا واحد مهفي عمره (مهدر دمه) ترى ما علي منكم .

ومع ذلك يركب معه كثير منا؛ لأننا نستأنس بالركوب معه، وكم مرة كسر علينا فناجين الشاهي والقهوة! وكم مرة انحرفت السيارة بنا والله لطف بنا.

الشاهد من هذه القصة أننا لما كنا في يوم من أيام عنيزة العامرة، وكنت أنا والوالد رحمه الله وبعض الزملاء جالسين بإحدى قهاوي (مجالس) عنيزة، وكنا نسولف عن طلعاتنا إلى الخيس، والمواقف المضحكة التي مرت بنا والوالد يستمع إلينا ويضحك، فذكر أحد الإخوان من زملائي -وكان الكلام موجها للوالد- قصةَ حمد القبيس وقولته المعروفة: لا أحد يركب معي إلا واحد مهفي عمره (مهدر دمه) ترى ما علي منكم؟ ثم قال: يا شيخ وش (ماذا) تقول فيه وبكلامه؟ فضحك الوالد وقال: هذا إن دل على شيء فهو دليل على ذكاء حمد وأن كلامه فيه إنذار لكم، فلو جرى على الراكبين منكم أمر سوء أو هلك أحدكم لا سمح الله فلا شيء عليه ولا يلحقه دية ولا حرج عليه لأنه أنذركم قبل ركوبكم، حتى ولو أنكم تقولون: إنه كان مازحًا بقوله.

فرحمه الله لم ينكر عليه مقولته ولم يمنعنا من الركوب معه، فجمع رحمه الله في مجلسنا هذا بين الترفيه والعلم فقد أخذنا منه فائدة وقاعدة من قواعد الفقه، فهكذا مجالسه يرحمه الله.

## تواصل ومواساة

من صفاته الاجتماعية أنه كان لا يأنف من مخالطة الناس، وأنه كان يحرص على تلمس احتياجاتهم الظاهرة والخفية، المالية والنفسية، فتطول رعايته الكبير والصغير.

يذكر الأخ عبد الله العبد العزيز القرعاوي (كاتب عدل الخبر سابقا) أنه لما بلغه وفاة والده عبد العزيز يوم الخميس وهو بمكة المكرمة وكان يعمل عند ابن سليمان بالشؤون المالية، أنه قرر الذهاب إلى عنيزة وكان عمره يومئذ ٢٤ سنة تقريبا، فجلس بعنيزة عند والدته إلى يوم الخميس الذي يليه، وفي ذلك اليوم توفيت والدته رحمها الله (بمرض التفوئيد) فاغتم أشد الغم لحبه لوالدته، وكانت من عادة أهل عنيزة الخروج مع أهل الميت إلى المقبرة ويتم العزاء فيها حال الدفن وبعده، أو في السوق، أو في الدكان، ويكتفون بذلك. فلما أحس الشيخ الوالد رحمه الله بحاله وقد أثر الحزن فيه لما جُمع له في ذلك الأسبوع من وفاة والديه جميعًا،

خاصة وأنه شاب وفي مقتبل عمره، فخاف عليه الوالد فلم يكتف كما هي العادة بالعزاء داخل المقبرة، بل ذهب إليه في اليوم التالي هو ومرافقه المعروف أبو عبود في منزله، فجلس الوالد رحمه الله عنده، يواسيه ويترحم على والديه، وأخبره أنه رحمه الله رهن إشارته وتحت خدمته؛ جبرًا لخاطره وإذهابا لحزنه. يقول الأخ عبد الله القرعاوي: إن جلوس الشيخ عندي وفي مجلسي ذلك اليوم أذهب ما في نفسي من حزن وغم، فلا أنسى للشيخ هذا الموقف الكريم.

فهكذا تكون الحياة الاجتماعية الفاضلة في أبسط صورها، وهكذا يكون التواصل العميق دون تكلف ورياء.

## تفريج الكروب

للوالد مواقف اجتماعية مشرقة أحس بها البعيد قبل القريب فهو رحمه الله لا يترك فرصة للخير إلا كان حريصًا على اقتناصها مهما كان، فقد ذكرت لي إحدى زوجات أبناء الوالد رحمه الله أنها ذهبت تزور زميلة لها في عنيزة، وهي ابنة لإحدى قريباتها، فلما وصلت إليها وجدتها في حالة عسر ولادة وقد شارفت على الموت من شدة الألم، وقد مر عليها ساعات طوال وهي على هذه

الحالة، فرجعت مسرعة إلى الوالد -وكان في مجلس التأليف والمطالعة- فذكرت له قصة صديقتها التي زارتها وما تجده من ألم الوضع وأنها بحاجة إلى مساعدة. فقام رحمه الله من مجلسه وترك ما في يده وأخذ فنجانا قريبا منه وقرأ فيه ما تيسر من الورد المأثور، وأمرها بأن تذهب به إلى صديقتها وتسقيها منه، تقول: فرجعت مسرعة إلى بيت صديقتي ولما دخلت عليها في غرفتها يسر الله لها بالفرج وولدت مولودها بأتم صحة، ولما سأل الوالد عنها أخبرته بما جرى، فسُرّ بذلك وحمد الله وأثنى عليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

## بين النظارة والميكروفون!

عندما بدأ استخدام المكبرات الصوتية في خطب الجمعة والعيدين كان في طليعة المستخدمين لها والذين عدوها نعمة من نعم الله الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، وقد أنكر عليه هذه الوسيلة بعض الناس، ولكنه رحمه الله لم يتراجع بل استطاع بحكمته وعلمه إقناعهم بفائدة جهاز تكبير الصوت.

وقد عجبت له لما أتاه رجل وكان يلبس نظارة على عينيه

ينكر هذه الوسيلة وأنها مبتدعة وأنهم لم يجدوا عليها آباءهم، وأنها من صنع غير المسلمين ولا حاجة لنا بها.

فقام رحمه الله فخلع النظارة من عيني الرجل وسأله: هل ترى بوضوح؟ فقال له الرجل: لا يا شيخ. فأعادها إلى عينيه مرة أخرى فقال له: والآن؟ قال الرجل: الآن أفضل وأشوف زين. فقال له الشيخ: يا أخي أنت تعرف بأن النظارة تقرب البعيد، وتزيد العين إبصارًا، فكذلك مكبر الصوت يقرب الصوت للبعيد، فيسمعه من في آخر المسجد ومن هو خارجه فيستفيد القريب والبعيد، وكذلك النساء في بيوتهن والقريبات من المسجد فيسمعن ذكر الله ويستفدن من مجالس العلم وغيرها، فهي نعمة من نعم الله علينا يجب الاستفادة منها في إيصال الحق ونشره.

## ليالي القيام

من عادات أهل عنيزة المعروفة ذلك الوقت في ليالي العشر من رمضان تقسيم قيام آخر الليل إلى جزأين بينهما فصل (استراحة).

وقد ذكرت لي الوالدة حفظها الله أن الجد رحمه الله كان من عادته في الفصل (الاستراحة) أن يذهب هو وجماعة المسجد

الذين يصلون خلفه إلى بيته لشرب الشاي والقهوة وتناول التمر، وفي حالات كثيرة يقوم هو بصنع القهوة والشاي ويقوم أحد أولاده بصبه وتقديمه.

وقد يقوم بهذه المهمة صديقه الخاص أبو عبود صالح العباد رحمه الله، ثم يُطيّبهم بطيب من عنده (بخور أو دهن عود) أو التي يرسلها الميسورون من طلابه ومعارفه لأهل المسجد، وهذه العادة تبث النشاط في المصلين وتُذهب ما بهم من تعب أو جوع استعدادًا للجزء الثاني من قيام الليل، فيخرجون من بيته وقد ذهب ما بهم من جوع أو تعب.

## من يريد السفر؟!

الوالد رحمه الله كسب حب الناس بأخلاقه وتواضعه وبذله من نفسه ووقته في قضاء حوائجهم، وهذا من ثمرات العلم التي تحصل للعلماء، وهذه الأمور مجتمعة جعلت الناس يتعلقون بالوالد في حضره وسفره، وفي حياته وبعد مماته، وكان الناس يتمنون رفقة الشيخ خاصة وقت السفر، لكي يمضوا معه أطول فترة ممكنة، وذلك لما يتمتع به الوالد -خاصة في وقت السفر- من طيب المعشر، وحلاوة النفس، والتبسط وخدمة الأصحاب والاهتمام

بهم وإكرامهم، وكان عامة الناس يجتهدون في رفقته فضلًا عن طلبة العلم.

وفي إحدى السنوات أراد الوالد الحج إلى مكة المكرمة، فنادى (دعى) دلال السيارات ذلك الوقت حمد الجبهان -وكان حمد من أهل عنيزة المعروفين بهذا العمل-، فناداه الوالد وقال له: احجز لي مكانا بأول سيارة تذهب إلى مكة، لكن أرجو منك ألا تخبر أحدًا بأنني قد عزمت على السفر وبهذه السيارة أيضًا.

وحمد الجبهان رجل طيب وحبيب ومجتهد، وكان رحمه الله يعمل ويخدم الفقراء والأغنياء لوجه الله، وكان رحمه الله مثل البوسطة (البريد) يوزع المكاتيب (الرسائل) على الناس دون مقابل. ولكنه بعدما وصاه الوالد بعدم إخبار الناس بسفره، لم يصبر، ومن شدة حبه للوالد وحب إيصال الخير للناس فقام يُحَرِّج (ينادي) بالسوق ويرفع صوته وهو يردد: من وده (يرغب) يسافر لمكة بهذه السيارة ترى فيها واحد يبي (يريد) يروح فيها وكلكم تحبونه وتحبون رفقته، وما نعلمكم باسمه ولا نعلمكم من هو هذا الرجل. وهذا من حُسن نية حمد الجبهان وسلامة قصده، لكن كل أهل عنيزة بعد ذلك عرفوا بأن الوالد يريد أن

يسافر بهذه السياره. وأخذوا يتزاحمون للحجز في هذه السيارة. فلما علم الوالد بفعل حمد الجبهان ضحك من فعله ولم يعنفه ولم يلمه على فعله؛ لأنه كان مجتهدًا ويحب الخير للناس.

## أكبر مني بثمانٍ!!

محمد بن منصور بن إبراهيم السعدي هو أحد أبناء عم الوالد رحمه الله ويلتقيان في الجد ناصر الأول، وهما صديقان ولدا في ليلة واحدة، لكن محمد المنصور مولود أول الليل تقريبًا والوالد مولود عند الفجر، لذلك محمد أكبر من الوالد بثمان ساعات فقط. ولما كبرا كانت لحية الوالد بيضاء جدًّا وكانت لحية محمد المنصور سوداء قليلة البياض، فإذا اجتمع الوالد مع محمد المنصور في مناسبة أو قهوة أو دُعِيا عند أحد الأصحاب، يقول الوالد للحاضرين عنده: محمد المنصور أكبر مني بثمان. ويسكت رحمه الله وهو ما كذب، فيظن من يسمع كلام الشيخ أن محمد المنصور أكبر من الوالد بثمان سنوات، لكن الحقيقة هي ثمان ساعات فقط، والمرحوم محمد المنصور يضحك ولا يقول شيئا وهو ساكت احترامًا للشيخ الوالد، وهو يعرف أن الوالد يمزح ولم يكذب، وبعدما يتعجب الناس يضحك الوالد ويقول: ترى

الصحيح محمد أكبر مني بـ ثمان ساعات فقط؟ فيضحك الجماعة وهم مستغربون من ذكاء الوالد وقدرته على التورية وجلب السرور على الموجودين.

لذلك كان الكبير والصغير والغني والفقير يأنس بالجلوس مع الشيخ الوالد، والوالد رحمه الله يتبسط لهم في مجالسهم ويظهر لهم السرور والبهجة، ولا تخلو هذه المجالس من فائدة علمية أو نصيحة شرعية.

## الشهادة بالحق بلا محاباة

كان رحمه الله لا يجامل في بيان الحق وتوضيحه حتى لو كان مع أقرب الأقربين له، وكان حريصًا على عدم إحراج الناس في المسائل الشخصية والنصح لهم في أمورهم الأخروية والدنيوية، خاصة أنه محبوب لدى الناس، وأنهم لا يردون له طلبًا. ففي سنة ١٣٥٦هـ أرسل له أحد أقربائه من أهل عنيزة الذين يسكنون الهند ولده الأكبر، وكان عمره في حدود التاسعة عشرة سنة، وكان يتكلم اللغة العربية بصعوبة ويجيد اللغة الهندية؛ لأنه ولد وعاش سنوات عمره في الهند، وتربى هناك وتعلم بمدارسهم وعلى طرائقهم وعاداتهم الخاصة، وطلب هذا القريب من الوالد

أن يبحث لابنه عن زوجة من بنات أهل عنيزة، لكن الوالد لم يتعجل في الأمر، خاصة أن الناس لا يردون للوالد طلبا.

فقام رحمه الله بامتحان هذا الولد لكي يتأكد من أنه يصلح للزواج من بنات عنيزة؛ لأن عادات أهل عنيزة مغايرة لعادات سكان الهند، لذلك جهز الوالد لذلك الولد روشن (حجرة) في بيته، وجهزها بما يحتاجه من فرش ومعاميل (أواني القهوة والشاي) وغيرها، وأعطاه بعض المال، وكان هو تحت نظر الوالد يراقب تصرفاته وأسلوبه وتعامله مع الآخرين؛ لأن الوالد لا يريد أن يورط أي بنت مع رجل لا تعرف طباعه وأخلاقه، ولا يريد أن يحكم على الولد دون علم وقبل أن يجمع عنه أكبر قدر من المعلومات.

وحتى لا يظلمه جعل فترة الاختبار ثلاثة أو أربعة أشهر تقريبًا، بعدها عرف الوالد أن هذا الولد غير صالح للزواج من أهل عنيزة، فكتب رسالة إلى قريبه في الهند أن ابنك لا يصلح أن يتزوج من أهل عنيزة لاختلاف الطباع والعادات، ولا نريد أن نظلم بنات الناس معه، ومع هذا فالوالد رحمه الله كان كثيرًا ما يذكر في مجالسه أن الزواج من بنات البلد أقرب لدوام العشرة بين الزوجين.

ومن مواقف هذا الولد مع الوالد أن الوالد كان يذهب به تلك الفترة إلى بعض المجالس، ويرافق الوالد، وقصد الوالد التعرف عليه عن قرب وفي جميع المواقف، وفي إحدى المجالس قُدم للوالد في ختام المجلس البخور، وهذا من عادة أهل نجد عندما يريد الضيف القيام يقدم له البخور، وكان صاحب المنزل يقوم بغمس يده في ماء الفناجين ويرطب بها لحيته من أجل أن تصبغ رائحة البخور في جسمه، كلما دارت المبخرة غمس يده ورطب لحيته، وهذا الولد يراقب ويتعجب من هذا العمل، فلما خرجا من عند مضيفهم.

قال هذا الولد: يا عم هذا الرجل يقوم بعمل طقوس دينيه عجيبة (يعتقد غمس اليد في الماء ومسح اللحية وعرضها على المبخرة طقوسًا دينية، وفي الهند تكثر مثل هذه الطقوس) فضحك الوالد رحمه الله وقال له: يا وليدي هذي ليست طقوسًا، بل طريقة لكي تصبغ رائحة البخور بالجسم.

وله مع الوالد مواقف أخرى لكن المقام لا يسمح بذكرها، يظهر فيها حرص الوالد على رفقته والتعرف عليه عن قرب بحيث لا يظلمه في الحكم، وهذه من حكمته رحمه الله وعدم استعجاله في إصدار الأحكام.

## أم إبراهيم تعزمكم!

من صفات الوالد الخُلُقية رحمه الله هو التحبب للناس عامة، ومع أهل بيته ومع طوارفه (أقاربه) الرجال والنساء، وكان رحمه الله دائما يمزح معي ومع الوالدة حصة، والوالد يعرف أن الحريم يضايقهن طاري (ذكر) الزوجة الثانية، لكن الوالد كما هي عادة الأزواج يمزح ويقول للوالدة: أبغ (أريد) أتزوج واحدة ويسميها باسم وهمي (أم إبراهيم). فإذا شاهد الوالدة عاجزة عن العمل وقد قل نشاطها في أحد الأيام، يقول لها مازحًا: يا أم عبد الله وش رأيك أجيب (أحضر لك) أم إبراهيم تعاونك على شغل البيت وتريحك من الطبخ والنفخ.

فإذا سمعت الوالدة هذا الكلام، تقعد تهوش وتنفعل (تغضب) على الشيخ الوالد، وتظهر أنها نشيطة وغير عاجزة عن العمل وتقعد تسولف معه.

وفي يوم من الأيام دخل الوالد القهوة (المجلس) وشب النار، وجهز القهوة، وزين (عمل) له شاهي وقهوة، وأحضر وسادة كبيرة وألبسها عباءة من عباءات حريم البيت، وجعل الذي ينظر الى الوسادة من الخلف يظن أنها امرأة جالسة مع الشيخ

بالقهوة، وصادف ذلك اليوم وجود عماتي وهن أكبر من الوالد سنًّا وكذلك بعض الأقارب من محارمه، فذهب لهن وهن جالسات وقال لهن: تفضلوا عندي بالقهوة عازمتكم أم إبراهيم، وتعالوا سلموا عليها تراها تنتظركم بالقهوة .فقمن كلهن ومن عرضهن الوالدة رحمه الله، ويوم دخلن القهوة شافوا (رأين) المرأة الجالسة حسبوها أول الأمر امرأة حقا وصدقن ذلك، لكن الوالدة رحمها الله كانت تعلم أن الوالد يمزح كما هي عادته، فقامت وأخذت لها شيئا من الأرض تضرب به المخدة على أنها أم ابراهيم وأنها غاضبة منها، والشيخ يدافع عنها وهو يضحك من فعلها، فكانت رحمها الله تتذكر هذه المواقف بعد وفاة الوالد وتقصه علينا وعلى أحفادها، رحمهما الله رحمة واسعة.

## لن أزوجك ابنتي!

وهذه القصة مثل القصة السابقة، لكن هذه المرة مع صديقه منصور البراهيم القاضي، فكان الوالد يسميه الخال منصور، ويقول له إذا تكلم معه في موضع: يا خال . . .ويا خال. وهذه إشارةٌ متعارف عليها عند أهل القصيم، وتعني أن الرجل يرغب ببنت الخال زوجة له من باب المزاح. وفي أحد الأيام كان الوالد

مدعوا عند واحد من الجماعة وكان المجلس كبيرًا وفيه منصور البراهيم القاضي، فبدأ الوالد رحمه الله يتحدث مع منصور البراهيم وهو بعيد عنه بصوت يسمعه الجميع وهو يكرر عليه قوله: ياخال . . . ويا خال . . .، فالتفت منصور إلى الشيخ الوالد وهو يعرف أنه يمزح معه وقال له: تراني لن أزوجك بنتي يا شيخ؟ بكرة إذا مت بعد عمر طويل . . .وش وراك (ماذا وراءك) إذا قالوا لي عيالك: هذا حقك من ورث الوالد. . . كتاب أو كتابين يعطوني عيالك؟! وش أسوي بهن ؟ (ماذا أعمل بهن). . . أبي يا شيخ واحد غني. . . بكرة إذا مات أخذت فلوسه أحسن من هذه الكتب. (كل هذا الهجوم والشيخ يسمع ويضحك).

## الشيخ خاطب مني البسة!

وهذه قصه مشابهة للتي قبلها؛ كان في عنيزة رجل يسوق الحمير (حمّارًا) واسمه فرج، يكد على حماره، فينقل للناس أكياس السكر أو العيش وغيره من أغراضهم ومشترياتهم، ويوصلها لبيوتهم، وهو رجل محبوب للناس ومعروف عندهم بطيبته، وكان شديد سواد البشرة، فكان الوالد رحمه الله إذا تكلم معه يقول له: يا خال فرج . . .ويا خال فرج . . .، بقصد إن الوالد يريد أن يتزوج

ابنته من باب المزاح، وهذا الرجل يعرف أن الوالد يمزح معه، فهو يجاريه في الكلام.

فإذا جاء هذا الرجل إلى بيت الوالد لتوصيل الأغراض قال للوالدة: الشيخ خاطب مني البسة (القطة) -يعني بها ابنته- وش رأيك يا أم عبد الله أزوجها الشيخ علشان تجي عندك بالبيت تخدمك وتساعدك؟ والوالدة تسمع وترد عليه وتهوش وتغضب على فرج (وهي تعرف أنه يمزح) ويمكن أنها كانت تظن أن الوالد قد أوصاه أن يقول هذا الكلام.

## هذا هو الولد الحبيب

للوالد مواقف كثيرة مع الوالدة، ففي الأوقات التي تكون فيها الوالدة مجهدة أو متعبة (بها وجع من رأس أو رجلين) يحب الوالد أن يداعبها خاصة إذا كنت معهما، فإذا كنا جالسين على عشاء أو غداء، أقول للوالدة: خلينا نجيب لك خويدمة (تصغير خادمة) تلاحظك وتلاحظ الوالد وتريحك من الطبخ والنفخ، ويتزوجها الوالد مرة واحدة حتى ما تتغطى عنه، وتساعدك بشغل البيت وتخدمك. والوالد يسمع ويضحك وينبسط من كلامي، ويمدحني عندها ويقول: هذا الولد الحبيب! هذا الولد البار بأمه

وأبيه! يجيب لهم خويدم تخدمهم، وأنت يا أم عبد الله وش يضرك لما يجيب خادمة وأتزوجها وتجيب مني ولد؟ فإذا سمعت الوالدة طاري الزوجة الثانية تنشط بعدما كانت ساكنة ولا تتكلم من التعب، ثم تبدأ تمزح معنا وتشره علي (تعتب علي) وتقول: أنت يا محمد ولدي وتبي تجيب لي ضرة، الله يهديك. والوالد يسمع قولها ويضحك، ويردد: هذا الولد الحبيب! هذا الولد البار بأمه وأبيه.

## تودد الشيخ لأصدقائه

وهذي قصة أحد أصدقاء الوالد وهو كبير السن، وكان هذا الصديق ممتنعا عن الزواج (لا يريد الزواج) لأسباب شخصية، وكان يعيش وحيدا في البيت، وفي بعض الأيام تمر عليه إحدى بنات أخيه تغسل ثيابه وتطبخ له أكله.

وفي يوم من الأيام عرض عليه الوالد الزواج، وقال له: وش رأيك أخطب لك واحدة تخدمك وتطبخ لك وتوسع صدرك وتغسل هدومك (ملابسك)؟ ندخلك عليها بعدما تعقد عليها ونحن نقوم بدفع جميع المصاريف والمسألة سر ما يدري أحد، وإذا ما صلحت اطلع واتركها وما عليك شيء، كل المصاريف ندفعها

عنك، لكن إذا جاء الصبح وجازت لك (أعجبتك) هذي الزوجة عطنا قيمة الجهاز والحمد لله. فيرد على الوالد مازحًا: تبي (تريد) توهقني (تورطني) يا شيخ؟! والوالد رحمه الله حاول معه أكثر من مرة ويتودد له بالزواج رأفةً به وبحاله لكن الرجل يرفض ذلك، فتوفي رحمه الله وهو لم يتزوج.

## خارطة جميلة

في إحدى السنوات يوم أن كنا في مدينة الجبيل رسمت خارطة جغرافية للعالم كبيرة الحجم طولها تقريبا ثلاثة أمتار من قماش أبيض، وقد اقتبست هذه الخارطة من كتاب أطلس العالم، ورتبتها ولونتها ووضعت عليه مسارات السفن وعدد الأميال من بلد إلى بلد وكذلك حدود الدول وتضاريسها، وفي السنة التي بايع فيها الوالد الملك سعود بالرياض هو والوفد من وجهاء عنيزة، رجع الوفد لعنيزة لكن الوالد وجدها فرصة لزيارة المنطقة الشرقية، وفعلا سافر الوالد إلى الدمام والخبر للسلام على العم سليمان، وسكن الوالد رحمه الله عندي بالخبر، وفي كل صباح أذهب به الى الدمام لزيارة العم سليمان الناصر السعدي.

وفي زيارته هذه شاهد الوالد الخارطة التي صنعتها بنفسي وقد

كنت محتفظًا بها، فجازت للوالد (أعجبت الوالد) لأنها باللغة العربية، وهي واضحة، ويمكن مشاهدتها من بعيد لكبر حجمها، فقال: يا وليدي هذي الخارطة جميلة ومرتبة نريدها أن تكون في مكتبة عنيزة للاستفادة منها. وفعلًا أهديت الخارطة للوالد، ليضعها بمكتبة عنيزة حتى ينظر فيها الطلاب، وفي سنة من السنوات حضر الوزير عبد الله السليمان (الوزير ابن سليمان) إلى عنيزة وكان من ضمن برنامجه زيارة مكتبة عنيزة، وبالفعل زار المكتبة وشاف (رأى) الخارطة وأعجب بها رحمه الله وسأل عنها، فقال له الوالد: إنها من عمل الولد محمد. فطلبها الوزير من الوالد لأنها كانت كبيرة ومعتنى بها كثيرا، فقام الوالد رحمه الله وأهداها للوزير ابن سليمان رحمه الله؛ لأن الوالد يحب الوزير لفضله على أهل عنيزة وعلى طلبة العلم خصوصًا، والوزير كان يبادله نفس الشعور ولا يرد له طلبًا، رحمهما الله جميعًا.

ومن هذا ترى أن الوالد رحمه الله كانت له اهتمامات بالجغرافيا، وكان كثير الاطلاع على الخرائط الجغرافية، وفي إحدى السنوات ذهبت إلى عنيزة لزيارة الوالد والوالدة، فأحضرت له هدية وهي مجسم للكرة الأرضية تدور يدويًا حول محور لها بطريقة تشبه دوران الأرض الطبيعي، فكان رحمه الله يكرر النظر

فيها ويحركها، ويسألني عنها وأجيب على جميع أسئلته، وأشرح له بعض الأمور الجغرافية وهو منصت لي كالطالب عند معلمه.

وكانت في تلك الأيام تدور رحى الحرب العالمية، فإذا سمع الوالد من بعض الناس أغلاطًا رد عليهم خصوصا فيما يتعلق بالحدود الجغرافية، وأماكن الدول، وأماكن الدول المتحاربة، ومواقعها من بعضها البعض، وحجم الدول ومساحاتها، وكيف أن الدولة الفلانية تمد الدولة الفلانية عن طريق كذا وكذا، والناس يتعجبون من كلام الشيخ وقدرته على الإقناع، ومن سمعه يقول: إنه عالم ومتخصص في علم الجغرافيا لشدة معرفته بالخرائط الجغرافية ومواقع المدن والدول. والوالد محبٌّ لهذا العلم، لأنه يعطيه تصورًا قريبًا عن الدول الإسلامية وموقعها الجغرافي وقربها من العدو الطامع بها. والمتأمل في بعض كتبه رحمه الله ومشاركاته الصحفية يجد هذا الأمر واضحًا جدًّا.

## عروس بليرةٍ واحدة!

للشيخ الوالد رحمه الله علاقات صداقة مع بعض الإخوة من الجنسيات العربية والأجنبية، وكان يعرف فلاحا من سهل البقاع بلبنان وهو رجل صالح كما أخبرني عنه الوالد، ولكن لا أعلم

كيف تعرف عليه وكيف عرف عنوان الوالد بعنيزة؟! في سنة ما كتب هذا الرجل للوالد بعنيزة يخبره أن لديه ابنتين يريد يزوجهما ويخرجهما من لبنان ولا يريد مهرا سوى ليرة واحدة فقط. وهذا العرض كان للوالد، لكن الوالد رحمه الله اعتذر له بلطف، وقصد الوالد رحمه الله أن بنات البلد تكون لأبناء البلد، وهو يرغب ويحب أن أهل عنيزة يتزوجون من بلدهم ولا يتزوجون من بلد أجنبي لاختلاف العادات والتقاليد وأقرب إلى دوام العشرة الزوجية في أغلب الأحوال.

## الحرص على سعادة الأبناء

في سنة من السنوات قدمتُ إلى عنيزة وكان الوالد والوالدة يبحثان لي عن فتاة لأتزوجها، وفي يوم من الأيام جاءت بنت مع أمها لبيتنا في عنيزة، وأعجبت الوالدة بها فصادف ذلك وجود الوالد بالبيت فأسرعت وأخبرت الوالد عنها وعن أهلها وعن أخلاقها، فأعجبه ما سمع من الوالدة، فقال لها: حاولي تؤخريهم عن الخروج كي أذهب للبحث عن ولدي محمد بالسوق لكي يشاهد البنت ونعرف رأيه فيها. وفعلًا طلع الوالد رحمه الله مسرعًا للسوق على غير عادته اليومية، فهو لا يمر في هذا السوق

وفي هذا الوقت لأن الناس ما يخلونه (لا يتركونه)، يمسكونه بالطريق ويلزمون عليه بالقهوة، لكنه خرج من أجلي ومن أجل إسعادي. وبدأ يمر على أغلب أهل الدكاكين الذين يظن أني جالس عندهم ويجتهد في البحث، لكنه رحمه الله لم يجدني عندهم، ورجع للبيت وأخبر الوالدة أنه لم يجدني، وحزِنَا على ذلك فقال لها: عسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا. فكان رحمه الله حريصًا على تحصين أولاده، وبذل الجهد في تحصيل السعادة لهم.

## أغْلِقِ المذياع!

من عادات أهل عنيزة الاجتماعية ما يسمونه بالدايرة وهي اجتماع يكون بين الأصدقاء المقربين يقدم الشاهي والقهوة فقط ويدور فيها الأحاديث، وقد يكون الاجتماع في عدة بيوت أو في بيت واحد، وقد يكون في يوم مخصوص.

وفي كل ليلة ثلاثاء من كل أسبوع يكون عند عبد الرحمن المحمد البسام دايرة شاهي وقهوة يحضرها الوالد رحمه الله والمرحوم عثمان الصالح القاضي، ويحضرها بعض الأصدقاء والمقربين لهم، وكان الوالد رحمه الله يحضر لهذه الدايرة مبكرًا

قبل عثمان القاضي، ويجلس مع عبد الرحمن المحمد يسمعون الأخبار والقرآن الكريم والبرامج الدينية من جهاز المذياع في بيت عبد الرحمن المحمد، فإذا أحس أو سمع الوالد رحمه الله بقرب قدوم أو دخول عثمان القاضي مجلس عبد الرحمن المحمد، وكان عبد الرحمن المحمد ثقيل السمع، فهو يطلب من عبد الرحمن المحمد إغلاق المذياع ويقول له: ترى جاء عثمان صك (أغلق) الراديو، والسبب أن الوالد يعرف أن عثمان الصالح يكره المذياع ولا يريد سماعه، والشيخ الوالد يراعي شعوره ولا يريد مضايقته، وهذه وجهة نظر خاصة من عثمان القاضي، وكان الوالد يحترم ويقدر وجهة نظره.

وفي سنة من السنوات سافر عثمان الصالح للحج ولما رجع لعنيزة وفي الليلة المعتادة لهم (ليلة الثلاثاء) دخل عثمان قهوة عبد الرحمن المحمد وكان المذياع مفتوحا ولم يسمع ويحس الوالد وعبد الرحمن المحمد بدخوله رحمه الله إلا متأخرا فسمع عثمان القاضي رحمه الله الوالد وهو يقول لعبد الرحمن البسام: صك الراديو ترى عثمان القاضي جاء للبيت. وبالفعل قام عبد الرحمن البسام وأغلق المذياع. لكن عثمان القاضي قال لهم بصوت مرتفع: لا تصكون الراديو الله يهديكم خلونا (دعونا)

نسمع مثلكم. فتعجب الوالد ومن كان حاضرا معهم كيف عثمان الصالح سمح لنا بالمذياع؟

فيقال: إن السبب في تغير وجهة نظر عثمان الصالح أنه سمع المذياع في مكة المكرمة في أحد المجالس وجاز له ما يقدم فيه من أخبار وأحاديث وقرآن، فكان بعد ذلك إذا حضر للدايرة لا يمنع ولا يمتنع من سماع المذياع.

## المذياع الوحيد!

في حياة الوالد رحمه الله كان وجود المذياع نادرًا لأسباب عديدة:

- أولها أنه باهظ الثمن.
- والسبب الثاني أنه لا توجد محلات بعنيزة تبيعه.
- والسبب الثالث كثير من الناس لم يتقبلوه في أول الأمر.

لكن كان هناك مذياع مشهور في عنيزة وهو موجود في بيت عبد الرحمن المقبل الذكير ويعتبر أول من أحضر المذياع لعنيزة، وفي وقت الحرب العالمية الثانية كان الناس تتشوق لسماع الأخبار، وخاصة أخبار الحرب وأثرها على اقتصاد الدول

الإسلامية خاصة، والوالد رحمه الله كان من المتابعين لأحداث الحرب العالمية، وكنت أخرج أنا والوالد من المسجد بعد صلاة العشاء ونَمُرّ بطريقنا إلى البيت على منزل عبد الرحمن الذكير فيطلب مني الوقوف قليلًا للاستماع إلى المذياع الموجود في بيت الذكير حرصا على سماع الأخبار؛ لأن عبد الرحمن الذكير رحمه الله يرفع صوت المذياع ليسمعه الناس المجتمعون في قهوته، ويسمعه أهل البيت ومن كان خارج البيت.

## الحرص على الخير

كان في عنيزة رجل معروف من أهل العلم، وكان هذا الرجل يعارض أفكار الوالد رحمه الله، وكان ينال من الوالد في بعض المسائل العلمية ويتكلم عن الوالد في المجالس، ويرد على أقواله واجتهاداته في المسائل العديدة، ولما علم الوالد به أرسل له الوالد خطابات ورسائل يخبره فيها أنه يرغب في الاجتماع به حتى يسمع منه وجهة نظره حيال تلك المسائل التي يخالف ويعارض فيها الوالد، كذلك كان يود التفاهم معه حتى لا يحدث إزعاج وفتنة في البلد، وكان يرغب منه عدم التكلم في المجالس أو مع عامة الناس أو النيل منه.

وقد ذكر الوالد له في معرض الرسائل المرسلة له أنه إذا كان مخطئًا فسوف يتراجع عن أقواله ويتمسك بالحق، وإذا كان الحق مع الوالد يجب عليك ترك الكلام أو التعرض لهذه المسائل. وكانت أغلب اعتراضات هذا الرجل على مسائل فرعية. وكنت في ذلك الوقت صغير السن، وكان الوالد رحمه الله يعطيني هذه الرسائل لإيصالها إلى ذلك الرجل، والوالد لا يريد ولا يحب أن يعلم أحد بهذه الرسائل؛ لأن قصده وهدفه رحمه الله الإصلاح وعدم إشغال الناس بهذه الاعتراضات والردود، ولأن أصدقاء الوالد رحمهم الله كانوا يتكلمون ويتناقشون بخصوص اعتراضات هذا الرجل على بعض المسائل التي قال بها الشيخ الوالد.

أدركت الأمر وعرفت القصة والقصد من هذه الرسائل، وقد طلب بعضهم من الوالد أن يناظره في مجلس خاص دون عامة الناس ويقوم بالرد عليه وعلى اعتراضاته في تلك المسائل، والوالد تردد أول الأمر لكن استجاب لهم، ومع ذلك لم يحصل اجتماع بينهما ولا مناظرة، بل انتقل الرجل من عنيزة إلى بلد آخر. والوالد لا يحبذ الردود الكتابية ولا يُعرف عنه إلا كتاب "تنزيه الدين وحملته مما افتراه القصيمي في أغلاله" بعد طلب وإلحاح من الأصحاب، فرحم الله الجميع رحمة واسعة.

## جبر خواطر الناس

في زمن الحرب العالمية كان الناس من أهل عنيزة يحرصون على الاجتماع بالشيخ والمشي معه، وذلك في حال ذهابه للمسجد أو خروجه منه، وكان الناس يتوددون للوالد رحمه الله ويبادلهم هو نفس الشعور، وكان الناس ينقلون للوالد أخبار الحرب وما سمعوه من المذياع، فيأتي الواحد ولديه خبر أو قصة سمعها من شخص أو من المذياع وينقلها للوالد، والوالد يصغي له وينصت ولا يقاطعه، ثم يشكره على ذلك ويبدي إعجابه رحمه الله، ثم يأتي شخص آخر، ويقص على الوالد نفس القصة، أو ينقل له نفس الخبر الذي نقله الأول، والوالد يسمع له ولا يتكلم ولا يقاطعه ويظهر له التعجب والسرور، فيظن الرجل أنه هو أول من نقل الخبر للشيخ وهو السابق إلى هذا الحديث فيشتد فرحه، والوالد يظهر إعجابه واستغرابه من القصة كأنه يسمعها لأول مرة، وهذا ما يقصده الوالد من حسن الاستماع لغرض جبر خواطر الناقلين للخبر، ثم يأتي شخص ثالث وينقل للشيخ قريبًا مما حدّث به الأول والثاني والشيخ لا يقاطعه ولا يشعره بأنه قد سمع أو علم تلك الأخبار والقصص. وهذا دأبه مع الناس، وقد شاهدت ذلك بعيني وسمعته بأذني، والشيخ الوالد رحمه الله يفعل

هذا مرارًا لحكمة يراها رحمه الله، وفعلًا كسب قلوب الناس العامة منهم والخاصة بهذه الأخلاق الحميدة.

## الستر على الناس بالحكمة

كان من عادة أهل سوق عنيزة ذلك الوقت خاصة الذين يبيعون الحنطة أنهم يتركون وقت الضحى أو الظهر أكياس الحنطة بالشارع خارج الدكاكين لثقتهم بالأمن، وفي المساء يدخلونها داخل الدكاكينهم، وفي أحد الأيام وفي فترة صلاة الظهر قام رجل فقير (من قرى القصيم) بسرقة كيس (عدل) حنطة من الشارع وقت انشغال الناس بصلاة الظهر وهرب به .

وهذا الأمر غريب على أهل السوق، كيف يسرق كيس (عدل) حنطة من السوق نهارًا؟ فاستاء الناس وتضجروا وتكلموا في هذه الحادثة؛ لأنها أول مرة تحدث عندهم وفيها جرأة وتعدٍّ سافر، لكن قدّر الله أن رجلًا كان ذاهبًا إلى مسجد المسوكف فقابل هذا السارق وهو يحمل الكيس، فلم يدر في ذهنه أن الكيس مسروق وأن الرجل سارق، فلما علم هذا الرجل بعد خروجه من الصلاة وبعد سماع خبر السرقة من أهل السوق تذكر الرجل الذي صادفه أثناء ذهابه للصلاة، وكان يعرفه ويعرف بيته، لكنه لم يتكلم

وكتم الأمر، ثم احتار في وضعه، هل يبلغ عنه أو يسكت عنه؟ ماذا يعمل؟ فهداه الله إلى إخبار الوالد رحمه الله بما شاهده وحال الرجل يدل على أنه هو السارق. فقال له: وش رأيك يا شيخ؟ فقال له الوالد: لا تخبر بما شاهدت أحدًا من الناس، ولكن اذهب إلى الرجل واذكر له ما شاهدته، واطلب منه أن يرجع الكيس إلى محله الذي أخذه منه في اليوم الفلاني وفي الساعة الفلانية، وأمهله يومًا إلى ثلاثة أيام.

وفعلًا ذهب هذا الشاهد دون علم أحد من الناس إلى ذلك الرجل في بيته وطلب منه أن يرجع الكيس إلى الدكان الذي أخذه منه؛ لأن الكيس مسروق، وبعد ثلاثة أيام لم يُرجع السارق الكيس، فأخبر الشاهد الوالد بأمر الرجل، فقال له الوالد: اذهب إليه مرة ثانية، وقل له إذا لم ترجع الكيس سوف نبلغ الأمير بالأمر، وسوف تفتضح عند الله وعند خلقه، فأرجع الكيس إلى مكانه وتب إلى الله، والله يستر عليك. فذهب الشاهد إلى السارق وحذره بأن يبلغ الأمير، فلما أصبح الناس من اليوم الرابع سمع بالسوق من ينادي بأن الكيس المسروق قد رجع إلى صاحبه، فقال الوالد: الحمد لله حدث المقصود. وهذا من حكمة الشيخ الوالد وستره على الناس، وانتهت القصة دون أن يعلم أحد من هو السارق.

## رحلة العلاج في لبنان

في عام ١٣٧٣هـ أصيب الوالد رحمه الله بارتفاع حاد في ضغط الدم مما أثر هذا في صحته وتعطلت بعض أعماله العلمية، فلما علم الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله بحالة الوالد الصحية -وكان الملك سعود من محبي الشيخ- أمر بإرسال طائرة خاصة من الطائف إلى بريدة، وكان فيها اثنان من الأطباء المتخصصين، فلما نزلت الطائرة بمطار بريدة في ذلك الوقت اتجه الطبيبان إلى منزل الوالد بعنيزة لإجراء الكشف عليه، فقررا نقله إلى لبنان لأن حالته شديدة.

وقال أحد الأطباء: إنه سوف يتم الكشف عليه مرة أخرى بالمستشفى الجامعي الأمريكي بلبنان ويجرى عليه الفحوصات الدقيقة، وأنه بعد أسبوع من ذلك سوف يقررون -إذا لم يمكن علاجه في لبنان- نقله إلى أوربا للعلاج، وبالفعل نقل الوالد بالطائرة من بريدة وقد رافقته في هذه الرحلة العلاجية ومعنا صالح العباد (أبو عبود) أحد رجاله ومحبيه رحمه الله من أجل أنه يوسع صدر الوالد، ويؤنسه في الرحلة، ويقوم بخدمته، ويعمل له الشاهي والقهوة، ويصليان في المستشفى جماعة آخر الليل،

خصوصا والوالد يحبه، فكنا بالطائرة سبعة أفراد، الطيار ومسئول اللاسلكي واثنان من الأطباء والوالد وصالح العباد (أبو عبود) وكاتب هذه الأسطر، وقد كان مع الوالد رحمه الله ٢٠٠٠ (ألفا ريال) فضة أحضرها معه، وفي أثناء سفرنا بالطائرة، ناداني وقال لي: خذ يا محمد وزع الألفين عليهم، وكانت الألفان إذ ذاك تعدل عشرين ألف ريال في وقتنا الحاضر أو أكثر، فأعطيت الطيار ومسئول اللاسلكي والدكاترة كل واحد أعطيته خمسمائة ريال فضة، ففرحو بالأعطية وشكروا الوالد رحمه الله على معروفه هذا، وأثناء الطيران كان بيننا وبين الديوان الملكي اتصال مباشر ومراسلات حتى وصولنا إلى لبنان، وكان الملك سعود تغمده الله بواسع رحمته يسأل عن الشيخ الوالد وهو في الطائرة.

ومن طريف هذه الرحلة أن الطبيبين اللذين معنا في الطائرة لم يحضرا معهما جوازا سفرهما، ولما كنا في الجو وقبل وصولنا إلى لبنان جاآني وقالا لي: يا أخ محمد نحن لبنانيون ومتجهون إلى لبنان، ولكن لم نحضر معنا جوازاتنا، ولم نكن نخطط لهذا الأمر؛ لأننا ما جاء في توقعاتنا أننا سوف نسافر مع الوالد إلى لبنان، وقد تفاجئنا بالسفر، فطلبا مني أن أدبر لهما الأمر، وفعلًا قمت بالاتصال بسفارة المملكة بلبنان عن طريق اللاسلكي ونحن بالطائرة وأخبرتهم

بحال الطبيبين وأنهما من طرف الملك سعود، وأنهما لم يحضرا معهما جوازات السفر. وتمت الاتصالات بين السفارة السعودية، والحكومة اللبنانية، وفعلًا تم إعطاء الإذن والسماح لهما بالدخول إلى لبنان. وعندما وصلت الطائرة إلى مطار بيروت وفتح باب الطائرة وجدنا بانتظارنا السفير السعودي وسليمان الغنيم رحمه الله وطبيبين من الجامعة الأمريكية وسيارة إسعاف، فقام الأطباء بالصعود إلى الطائرة وتحدثوا إلى الوالد وفحصوه فحوصات أولية وقالوا له: لا بأس عليك، سوف تنقل إلى المستشفى الأمريكي وصحتك مستقرة. وهذه أول البشائر.

كانت مدة جلوس الوالد بالمستشفى الأمريكي أسبوعا واحدا تقريبا، وفي هذا الوقت قام سليمان الغنيم رحمه الله وأسكنه فسيح جناته بتجهيز بيت للوالد بمدينة عالية بجبل لبنان، وكان هذا البيت كبيرًا ومجهزا بسيارة خاصة للوالد وخادم وطباخ، فبعد خروج الوالد من المستشفى واستقرار صحته اتجهنا إلى عالية وجلسنا في هذا البيت المخصص لنا.

وكان للوالد رغبة شديدة في الرجوع إلى عنيزة في أقرب وقت ممكن، وكان رحمه الله في كل يوم يسأل عن وصول الطائرة التي سوف تقله إلى الوطن، لكن بسبب ظروف موسم الحج وارتباط

الطائرات القادمة والمسافرة إلى المملكة طالت مدة مكثنا في مدينة عالية شهرا واحدا تقريبًا. استغل الوالد وجوده في لبنان فقمنا بزيارة سريعة إلى دمشق لمدة يوم واحد فقط، وكان من ضمن برنامجنا ذلك اليوم زيارة قبر **شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية** والسلام عليه والدعاء له؛ لأن الوالد رحمه الله من محبي شيخ الإسلام وهو متأثر بمؤلفاته ومؤلفات تلميذه ابن القيم. وفي كل يوم أنزل صباحًا من جبل لبنان (عالية) إلى بيروت لكي أُراجع السفارة السعودية لمعرفة موعد وصول الطائرة التي سوف تنقل الوالد إلى عنيزة، وكذلك لأجل أخذ البريد الذي يصلنا من المسؤولين والأقرباء في عنيزة، ويبقى الوالد وصالح العباد (أبو عبود) في البيت بعالية يستقبلون الناس والمعارف من أهل عنيزة وغيرهم.

وقد زار الوالد في بيته بعالية خلق كثير، وكان ممن زاره أعضاء جمعية عباد الرحمن يتقدمهم رئيسهم الشيخ عمر الداعوق حفظه الله، وتم تصوير فيلم سينمائي للوالد أثناء الزيارة في بيته بعالية، والفيلم قصير جدًّا، ويوجد عند سليمان الغنيم رحمه الله نسخة منه، وقد حصل على جزء من هذا الفيلم الابن مساعد العبد الله السعدي بواسطة الدكتور فؤاد بن سليمان الغنيم جزاه الله خيرا.

ومن الأشياء التي تذكر في هذا الموضوع أن الأطباء طلبوا إلى الوالد وهو في فترة العلاج عدم القراءة أو الكتابة؛ لأن ذلك يتطلب إشغال الفكر وبذل الجهد، وهذا يؤثر على صحته ويؤخر شفاءه من المرض.

ولما كان الوالد في المستشفى اطلعت في إحدى المكتبات على كتاب بعنوان "دع القلق وابدأ الحياة" للمؤلف الأمريكي "دايل كارنيجي" ، وهو مدير معهد تدريب بأمريكا ، فأعجبت به فقررت شراءه وإهداءه للوالد، فقرأ الكتاب كاملًا وأعجب به أيضًا وبمؤلفه وقال: إنه رجل منصف.

وكان للوالد صديق عزيز عليه من أهل عنيزة وهو يعاني من مرض نفسي، وله سنتين في بيروت يعالج من هذا المرض ولم تتحسن صحته، فقام الوالد وأهدى له هذا الكتاب "دع القلق وابدأ الحياة" ، وقال له: اقرأ الكتاب فهو مفيد جدًّا.

ومن العجيب أن هذا الصديق بعدما قرأ الكتاب تأثر بما فيه وتحسنت صحته وذهب ما به من عوارض صحية، وطاب من مرضه الذي يعاني منه. وقد أمرني الوالد بشراء نسخة ثانية من هذا الكتاب لكي يودعه في مكتبة عنيزة التي أنشأها رحمه الله، فقمت

بشراء الكتاب وأعطيته للوالد، ولما رجع الوالد وضع الكتاب في المكتبة، وتمت إعارته إلى كثير من طلبة الوالد المشهورين.

أرسل الوالد أبو عبود إلى سوق عالية وقال له: اشتر أوراقًا وأقلامًا. وكان في نية الوالد تأليف رسالة على ضوء كتاب "دع القلق وابدأ الحياة"، وهي صغيرة الحجم كبيرة المعنى عظيمة النفع، وقد سماها "الوسائل المفيدة للحياة السعيدة"، وهي تهدف إلى تحقيق السعادة للإنسان بالطرق الشرعية، وعلاج الاكتئاب والأمراض النفسية المختلفة، ولله الحمد والمنة، فقد طبع من هذه الرسالة في حياته وبعد مماته عشرات الطبعات لم نتمكن من حصر مجموعها، وقد وصل عدد المطبوع منها في واحدة من الطبعات أكثر من خمسين ألف نسخة وزعت بالمجان عن طريق جمعيات سعودية تعنى بالطب النفسي، ولا زال الطلب عليها متكررا من داخل المملكة وخارجها، وقد اشتهرت هذه الرسالة وذاع صيتها، وهذا والله أعلم من حسن قصد مؤلفها رحمه الله.

ومن باب الاستطراد **فنحن ورثة الشيخ عبد الرحمن نفسح المجال لمن يريد طباعة كتب الوالد بدون مقابل، لكن بعد أخذ**

**الإذن الخطي منا ، والتأكد من ضبط الكتاب وعدم التصحيف أو التحريف أو الزيادة أو النقص.**

وللوالد عدد كبير من المؤلفات والرسائل يفوق الخمسة والستين مؤلفًا ما بين كتاب ورسالة في مختلف الفنون. ومن أشهرها كتابه "**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**" ، وقد تم تحقيقه من قبل الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، وقد بذل فيه جهدًا يشكره القريب والبعيد، وقدّم له الشيخان ابن عقيل وابن عثيمين، وهي النسخة المعتمدة من قِبَلِنا، ومن ثم أخرج الأستاذ سعد الصميل نسخة أخرى محققة وقدم له الشيخ بكر أبو زيد بمقدمة جميلة.

وقد تم إخراج بعض مؤلفاته لأول مرة بعد وفاته وطبع منها طبعات عديدة، ونحن الآن نقوم بتحقيق المطبوع منها وطباعة ما لم يُطبع من قبل، والابن مساعد العبد الله السعدي هو المشرف على هذه الكتب، وقد أوكلت أنا والأخ أحمد رحمه الله له هذه المهمة.

وقد شاركنا في طباعة كثير من مؤلفات الوالد وساعدنا في إخراجها وطباعتها دورُ النشر في السعودية وخارجها، وقد تم

توزيع كتبه داخل المملكة وخارجها مجانا لطلبة العلم والمتخصصين، وقد وصلت كتبه إلى دول عديدة منها أمريكا وكندا وأوربا ودول شرق آسيا ونيوزلندا بالإضافة إلى أكثر الدول العربية والإفريقية والإسلامية، وفي هذه الأوقات تأتينا رسائل من كثير من الدول الإسلامية والأجنبية تطلب كتب الوالد فنرسل لهم ما تيسر منها، وقد تم في عام ١٤٢٤هـ إخراج كتب الوالد على أسطوانة مدمجة (CD) من قبل الجمعية الصالحية بعنيزة، كما أنها كانت سبّاقة ورائدة في إخراج المجموعة الكاملة لمؤلفات الوالد. وفي هذه السنة تم طباعة كتاب "**منهج السالكين**" باللغة الإنجليزية من قبل دار الميمان، وقد تمت ترجمة بعض كتب الوالد إلى اللغة الأوردية والفرنسية، وهناك مواقع على شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت) يمكن من خلالها الاطلاع على كتب الوالد وتنزيل أي كتاب منها وأنت في منزلك أو مكتبك، وهذه الأعمال بجهود فردية ومؤسسات خاصة تهدف إلى نشر العلم والعقيدة الصحيحة في جميع دول العالم، ولا ننسى دور طلبة العلم المعروفين في تحقيق كتبه وخدمتها ونشرها وتعليمها، حتى أصبحت مؤلفاته مناهج دراسية معتمدة في الكليات والجامعات الشرعية داخل المملكة وخارجها.

ونعود مرة أخرى ونقول: لما كان الوالد في لبنان تلك السنة صادف وجود عائلة عمي حمد العلي القاضي (وهو أخٌ للوالد والعم سليمان من جهة الأم)، فلما علم العم حمد بوصول الوالد إلى لبنان أرسل لعائلته يقول لهم: اذهبوا وسلموا على عمكم عبد الرحمن، تراه موجودًا في عالية (منطقة في لبنان)، وأوصاهم عند ذهابهم بوصايا، وقال لهم: عليكم بالأدب والاحترام والتقدير لعمكم.

وقد حضر لبيت الوالد بعالية ثلاث من بنات عمي وزوجة عمي للسلام على الوالد، وفرح بهم الوالد أشد الفرح؛ لأنه رحمه الله لم يرهن منذ زمن بعيد، وجلسن يتحدثن معه ويلاطفهن ويبادلنه نفس المشاعر، ولما علمن، وتلمسن سماحة الوالد، واحترامه، وحبه لهن؛ استأنسن به، وأطلن المكث عنده، ولما رجعن إلى منزلهن كتبن لوالدهن يقلن: لقد وجدنا عمنا سمحًا وهينًا ولين الطباع، بل هو أسمح منك، وإننا استأنسنا بمجالسته، فلماذا أكثرت علينا الوصايا فصار كلامك بخلاف الواقع؟!

## أربعة مقابل واحدة!

كان للوالد أخ من الأم هو حمد العلي القاضي، وهو أكبر من

الوالد بست سنوات ودائمًا يذكر لي الوالد هذه القصة فيقول: لما كنت في سن الطلب وفي مقتبل العمر كان الشاهي توه طالع (قريب عهد) بعنيزة، وقليل من الناس يشربونه لندرته وارتفاع سعره، وكنت أجتمع أنا وأخي حمد القاضي وصديقي عبد العزيز العبد الله القاضي لشرب الشاي، وكان عمري أنا وعبد العزيز بين ١٤-١٥ سنة وعمر أخي حمد ٢٠ سنة تقريبًا، والكلام للوالد يقول: إن أخي حمد إذا أراد أن يعد لنا الشاهي وحلاه (وضع فيه السكر) شرب منه فنجانا لكي يتذوقه، وإذا فرغ الفنجان حرك الشاهي وصب له فنجانا ثانيا وشرب منه ونحن ننظر، المهم إذا شرب أخي حمد القاضي ثلاث فناجين قام فصب لنا لكل واحد منا فنجانا وطبعًا صب له فنجانا واحدا فينتهي ما تبقى في الإبريق وبذلك يشرب أخي أربعة فناجين، وأنا وعبد العزيز القاضي كل منا يشرب فنجانا واحدا، وهذه حالتنا معه إذا ذهبنا عنده. فكان رحمه الله يذكرها ويرددها علينا في كثير من مجالسه العائلية ليؤنس المستمعين والجالسين معه.

## العالم الحكيم

عندما يريد الوالد رحمه الله السفر بالسيارة يستأجر مكانا في

السيارات المتوفرة في عنيزة ذلك الوقت، وغالبًا ما تكون من نوع الوانيتات، أو اللواري الكبار (غمارة وصندوق)، فيركب معه عامة الناس من الرجال والنساء والأطفال، فكانوا يؤثرونه في المكان، فيركب في مقدمة السيارة (الغمارة) أول الطريق، لكن لا يبقى في مكانه فترة طويلة، فعندما يمضي عليه بعض الوقت ينتقل من الغمارة الى الصندوق في الخلف مع عامة الناس، أو إذا أحس الوالد أن السائق متعب وله فترة طويلة وهو يقود السيارة يرقى رحمه الله على الحمولة في الخلف، من أجل عدم إحراج السائقين، خاصة أن بعضهم في ذلك الوقت قد ابتلاه الله بشرب الدخان فلا يصبرون عليه خاصة وهم يقودون السيارة.

وإذا كان معهم في السيارة نساء يصير مكانهن عادة في مقدمة صندوق السيارة، ويكون الرجال في الخلف على حمولة السيارة، ومع طول وقت السفر يستغل رحمه الله وجوده معهم بالقراءة عليهم وتعليمهم والإجابة على أسئلتهم، فيرفع صوته بحيث يسمعه الرجال والنساء فيستفيد الجميع، وإذا نزلوا في مكان أثناء الطريق للراحة أو الغداء أو العشاء يحرص على خدمتهم، فكان يذهب بعيدًا ليحضر الحطب أو بعر الإبل من أجل إشعال النار لعمل القهوة أو الشاي خدمة للمسافرين وتنشيطًا لبدنه، وهو بذلك يعطي

فرصة للسائقين أن يأخذوا راحتهم الخاصة، فمنهم من ابتلي بالتدخين، ولأنهم يقدرون الشيخ ويحترمونه فهم لا يدخنون أمامه، وقد علموا منه الفتوى بتحريم الدخان، وهذا من حكمته رحمه الله فيقول: هؤلاء السائقون تعودوا على شرب الدخان، وإذا مر عليهم وقت وما شربوه يتعبون وتصدع رءوسهم، وقد يغفلون عن الطريق أو يؤثر ذلك على قيادتهم للسيارة، ويرى الشيخ أنه من المصلحة إعطاؤهم بعض الحرية للتدخين في بعض الوقت حفاظًا على أرواح الركاب، وهم يحتاجون إلى وقت طويل لنصحهم، خاصة وأن ترك التدخين يحتاج -كما عُرِفَ- إلى صبر وعزيمة قوية وإيمان قوي بضرره قد لا يتوفر لدى بعضهم، ومثل هذه التصرفات من الوالد أثرت على كثير من السائقين، فبعضهم لما علم أن الوالد يفعل ذلك لأجلهم تأثر لذلك وازداد حبهم للوالد، وأَعْرِفُ بعضَهم قد ترك التدخين نهائيًّا.

## هذه الصحون من أجلك!

ذكر الشيخ عبد الله العبد العزيز العقيل حفظه الله في رسالة أرسلها للابن مساعد العبد الله السعدي يقول فيها: إن الشيخ إبراهيم العمود لما كان في أيام طلبه للعلم بمكة المكرمة عام

١٣٤٨هـ تقريبًا، وكان الشيخ إبراهيم يسكن في رباط الحنابلة قرب باب الزيادة، دعا رحمه الله خاله الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي على الغداء، وقدّم له الأرز واللحم في عدد من الصحون الصغار، فلما انتهوا من الغداء شكره الشيخ عبد الرحمن ثم خلا به وقال له: يا وليدي أمك في عنيزة في أمس الحاجة إلى بعض هذا وأنت تتمتع به أنت وزملاؤك، فهلا بعثت لأمك بشيء من ذلك!

فقال الشيخ إبراهيم: يا خال هذه الصحون أنا أخذته من صاحب المطعم بشرط أن الصحن الذي ما يمسه أحد أرجعه عليه بقيمته ولهذا كثرت الصحون إكرامًا لك يا خال، وإلا فما عندي شيء كثير، وقد كانت عادة أهل المطاعم في مكة ذلك الوقت يأخذ الزبون منهم عددًا من الصحون يتجمل بها لدى ضيوفه وكل صحن يرجع سالمًا لم يمسه أحد يسقط بحسابه.

وذكر الشيخ ابن عقيل أن الشيخ إبراهيم العمود أرسل رسالة إلى والدته بواسطة شيخنا عبد الرحمن السعدي فذهب الشيخ لأخته في بيتها بعنيزة ليقرأ عليها الرسالة فلم يجدها فرجع، وبعد فترة خرج الشيخ بالرسالة لبيت أخته فلم يجدها وفي المرة الثالثة أو الرابعة وجدها وقرأ عليها الرسالة، ولم يشره عليها (يعتب عليها)

أو يذكر لها أنه تردد عليها أكثر من مرة حتى لا يضيق صدرها وتحزن لذلك، وهذا من مكارم أخلاقه وحرصه على صلة أرحامه.

## مراعاة الناس

ذكر لي أخي أحمد رحمه الله أنه في يوم من الأيام كان الوالد مدعوا على قهوة بعد صلاة العشاء، وكان أخي مرافقًا له في ذلك اليوم، وبعد انتهاء المجلس يقول الأخ أحمد: خرجت مع الوالد قاصدين بيتنا، وكان مطر شديد قد نال من الطرق فتزلقت، وانتشر ظلام الليل مما جعل السير صعبا فيه من الخطورة ما فيه، وأثناء سيرنا شاهدت بعيدا أحد كبار الجماعة يسير أمامنا من مسافة خمسين مترا تقريبًا، وبعد دقائق زلت قدم الرجل فسقط في الطين، ثم قام سريعًا ولم يصب بأذى، ولكن ابتلت ثيابه واتسخت بالطين بصورة يخجل الرجل منها، فالتفت يمينا وشمالًا لعل أحدا لم يره، وهذا الرجل لا يدري أننا نسير خلفه.

فقلت للوالد: هذا فلان قدامنا وذكرت له ما حدث له، وكنا قريبين من مفرق طرق، فقال الوالد: خلنا (دعنا) نذهب من الطريق الثاني حتى لا يشوفنا (يشاهدنا)، وحتى لا يخجل إذا علم أننا شاهدناه في ذلك الموقف فيحرج مما أصابه من الزلق في الطين.

وكان الطريق الثاني الذي سلكناه يُبعدُنا عن بيت الوالد بمسافة ليست بالقصيرة لكنه آثر ذلك الطريق مراعاة لشعور ذلك الرجل، وهذا من حسن تقديره ومراعاته لنفوس الناس والبعد عن إحراجهم في جميع المواقف.

## لين الجانب وحفظ أسرار الناس

يحرص الوالد رحمه الله في معاملته وعلاقته مع الناس ومع جماعته وأصدقائه كما ذكرنا إلى عدم إحراجهم أو جعلهم في موقف الضعيف مقابل القوي، خاصة ممن يلحظ منهم شيئا قد ينكره؛ لأنه يرى أن القدوة والعلاقات الإنسانية الجيدة أبلغ في التغيير والإصلاح من القسوة والعنف والتسلط.

وأذكر أنه كان لي صديق، وهو صديق للوالد أيضا يعزه ويقدره، ولكن هذا الصديق ابتلي بشرب الدخان، لكنه كان يمتنع من التدخين أمام الوالد أو في حضوره وكذلك مع من يقدرهم من كبار السن أو المشايخ وطلبة العلم، إكبارا وإجلالا، وكان لا يحب أن يُشم منه رائحة الدخان، ويستحيي ممن يقابله أثناء شربه الدخان، فقد كان يعرف أنه مبتلى ولكنه لا يقدر على تركه، ومن عادة هذا الصديق أنه إذا قابل الوالد في السوق (الطريق) يقفان فترة

من خمس إلى عشر دقائق يتحدثان ويتجاذبان أطراف الحديث، وكان من عادة الوالد رحمه الله قبل صلاة المغرب أنه يذهب إلى مكان يقال له: الشمالي، وهو نخل يتوضأ فيه ويغتسل، ويرجع من طريق آخر صاد (منعزل) من أجل ألا يتأخر عن صلاة المغرب، وهذا الطريق لا يتوقع كثير من الناس أن الشيخ يمر منه، وفي يوم من الأيام كعادته رحمه الله رجع من هذا الطريق وفي مكان ضيق منه شاهد هذا الرجل الذي ذكرناه قادم من الجهة المقابلة في الطريق نفسه وهو يدخن والسيجارة في يده، فلما شاهد هذا الرجل الوالد وهو لم يكن يتوقع أو يظن أنه سوف يقابله في هذا الطريق، فوضع سريعا شماغه على فمه (تَلَطَّم) من أجل ألا يعرفه الوالد فيوقفه كعادته للحديث معه، وبالفعل مر هذا الرجل من عنده مسرعا ولم يسلم عليه.

وقد ذكر لي هذا الصديق هذا الموقف، فقال: إنه خجل من الوالد خجلًا عظيما، وقال: لا أشك أن الشيخ عبد الرحمن شاهدني وعرفني، ولكنه رحمه الله لم يرد أن يحرجني. وأقول: إن الشيخ الوالد لم يذكر لي شيئا عن هذه الحادثة مع علمه بحاله وبأنه من أصدقائي، لكنه أراد رحمه الله حفظ أسرار الناس وعدم فضحهم لعل الله يهديهم إلى الطريق المستقيم.

## رحمته بالمساكين

روى لي الأخ عبد الرحمن السليمان العبد الرحمن البسام قصة عجيبة فقال: كنت ذاهبًا إلى صلاة الظهر وأنا صغير السن في يوم مطير (ديم) وبرد قارس من أيام مدينة عنيزة، ولما اقتربت من الجامع شاهدت أمامي الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله وقد توقف المطر وطلعت الشمس، وجماعة المسجد قد صعدوا إلى الطاية (السطح) وهي في مؤخرة المسجد من أجل تلمس دفء الشمس، ولم يلحظني الشيخ ولم ينتبه لي لصغر سني، فصعد الشيخ للسطح من أجل إمامة الناس بالصلاة الحاضرة، وأثناء ظهوره رحمه الله إلى السطح شاهد أحد فقراء البلد مقصعر (جامع بدنه بيديه ويرتجف من شدة البرد)، وكانت ثيابه التي عليه مبللة من أثر المطر، فتأثر الشيخ من هذا المنظر وحزن لذلك، فنزل رحمه الله درجات بعيدًا عن أعين الجماعة وخلع بشته (العباءة).

وكان من عادته رحمه الله أنه يلبس ثوبين أيام الشتاء فخلع ثوبه العلوي بسرعة وقام بلفه وجمعه ثم لبس البشت (العباءة) مرة أخرى وهو يتلفت لعل أحدا لم يره، فصعد الدرج مرة أخرى وقابل الفقير وأعطاه الثوب الذي بيده، ففرح الرجل به أشد

الفرح، وصلى بالجماعة ولم يلحظه أحد منهم إلا أنا! فتعجبت منه ومن أخلاقه العالية، كما تأثرت بهذا الموقف ولا زال هذا الحدث متمثلا أمام ناظري كأنه كان بالأمسِ القريب!

كما أتعجب من رحمته بهذا الرجل وبذله لما في يديه وعدم تأخره عن تقديم المعروف وقد مر بهذا الرجل عدد من المصلين ولم يلتفتوا لحاله وبؤسه، فرحمه الله رحمة واسعة.

## المُرَبِّي القدوة

وقد روى لي الأخ عبد الرحمن السليمان البسام أيضًا هذه القصة ويقول: إنني في يوم من الأيام بينما كنت جالسا في ركن من أركان سطح المسجد أقرأ القرآن الكريم وأنا صغير السن أخطئ وأصيب، فجاء الشيخ عبد الرحمن رحمه الله فوقف بالصف فكبر وتسنن (صلى ما كتب له) فلما انتهى من صلاته التفت إلي وقال لي: تبي (تريد) يا عبد الرحمن نتدارس أنا وإياك القرآن. فقلت له: إيهِ يا عم. فاقتربت منه فجلست بجانبه وقال لي: تقرأ أولًا أو أقرأ أنا قبلك؟ فقلت له: اقرأ يا عم أنت أولًا.

فشرع الشيخ رحمه الله يقرأ غيبا من سورة (عَمَّ يتساءلون) وأنا أستمع له وأتابعه، فلما انتهى من قراءة السورة بدأت أنا

بالقراءة من سورة (النازعات) وهو ينصت ويتابعني حتى انتهيت. ثم جاء دوره مرةً أخرى فقرأ سورة (عَبَسَ) وأثناء القراءة غلط رحمه الله، ورددت عليه الغلط وصححت له، وأنا لا أعرف هل أخطأ ناسيا أم أنه تعمد الغلط من أجل أن أرد عليه ويتأكد من متابعتي له، وأظن الاحتمال الثاني هو الأقرب وهو الصحيح. وأثناء جلوسي معه جاء والدي سليمان إلى المسجد، ونحن في مجلسنا هذا لم نفترق، فقال له الشيخ: يا أخ سليمان تعال وانظر إلى ولدك عبد الرحمن قد رد علي الخطأ بعد أن غلطت في القراءة وأنا كبير وهو صغير السن لم يغلط. (أراد رحمه الله تشجيعي ورفع مكانتي عند الوالد) فأحسست بشيء قد ملك قلبي من الفرح وأني قد عملت عملًا عظيمًا لم يعمله أحد من قبلي، وقد غمرتني السعادة وتضخمت لما التفت الوالد نحوي وهو يبتسم وكأنه يقول لي: ما أعظمك من ولد، فقصصت هذه الحادثة لوالدتي وأهلي وأصدقائي، ولم يزل أثر هذه الحادثة في نفسي إلى يومنا هذا، وهذا من الدروس العظيمة في التعليم والتربية والأخلاق النبيلة.

## يا رجل تضرب البهيمة!!

لما كان الوالد رحمه الله يمشي بالسوق شاهد أحد الحمّارة

(صاحب حمار) يضرب حماره بشدة وقسوة، فعطف الوالد على هذا الحمار وأخذته الرحمة به، فقال له الوالد: حرام عليك يا فلان تضرب البهيمة بهذه القسوة، وين (أين) الرحمة؟ فقال له الرجل: حماري مزعج وكسول ما يمشي يا شيخ إلا بهذه الطريقة. فأمسك الوالد بلطف قلادة الحمار وجره بهدوء، فمشى الحمار دون تردد أو عصيان، وقال له: وش (ماذا) ترى؟ فتعجب من هذا الموقف، فقال الرجل مازحًا: حتى الحمار يعرف إنك شيخ ويستحي منك ويطيعك. فضحك الوالد من كلام الرجل ولم يعاتبه، بل أكد عليه أن يتعامل معه برحمة وشفقة. فرحمه الله تجده في كل المواقف معلمًا ومربيًا، حتى الحيوانات كان لها نصيب من ثمرات هذه الأخلاق الكريمة.

## تضربني ولم أفعل شيئًا؟!

يسعى الوالد رحمه الله إلى رسم الابتسامة على شفاه بعض الأحباب وتذكيرهم بالأحداث الماضية من باب الدعابة والمزاح، وكان من بين هؤلاء صالح المطلق رحمه الله، وكان له قصة وقعت مع الوالد؛ فقد كان صالح المطلق حارسًا من قبل الدولة على منطقة من جهة العوشزية، وهي منطقة تجتمع فيها الأمطار في

موسم الربيع ويخرج فيها نبات السعد (نبات صحراوي ربيعي يخرج في مثل هذه الأماكن) وكانت الدولة تضع فيها من يحرس هذا العشب حتى لا يقوم الناس بحشه (قطعه) قبل تمامه.

وكان الوالد في صغره يخرج كعادة الناس مع أهله وجماعته لحش (لقطع) وجمع نبات السعد، وفي يوم من الأيام وهم ذاهبون إلى تلك المنطقة وعند اقترابهم قام حارس هذا المكان -وهو صالح المطلق- بطرد الناس وبضرب الوالد من أجل أن يمنعهم من الاقتراب من هذا العشب، وبعد سنين عديدة، وبعد أن جلس الوالد للتدريس والتعليم وذاع صيته، كان رحمه الله يذكر صالح المطلق بهذا الموقف، ويقول له ضاحكًا: الله يهديك يا صالح تضربني وأنا ما سويت (عملت) شيء؟! فيرد عليه المطلق ويقول: لو دريت أنك تبي (تريد) تصير شيخ ما ضربتك! فيضحك الشيخ من رده، والمطلق قد علم أن الشيخ يمزح من كلامه له.

## يابنياتي ما عزمتوني!

لما سُئِلَت أمي حفظها الله عن معاملة الجد عبد الرحمن مع أطفال البيت خاصة وأنها هي الصغرى اغرورقت عيناها من الدمع، وبدأت تقص عليّ من الذكريات التي لم تنسها عن

والدها الشيخ عبد الرحمن، فقالت: كان الوالد رحمه الله يتودد إليها ويناديها ويسميها النيرة (القطعة النقدية من الذهب)، وقد اشتهرت بهذا الاسم عند أهلها، وكان رحمه الله يحبها، حتى إنه لم يضربها إلا مرة واحدة -ضربًا غير مُبَرِّح- لما عَرَّضتْ نفسَها للخطر عند صعودها إلى أعلى مكان في سطح البيت، وكان عمرها سبع سنين.

**وتقول الوالدة أيضًا:**

لما كان عمري ثماني سنوات تعودتُ اللعب مع إحدى الخادمات الصغيرات التي كانت تخدم في بيتنا وكانت تسمى (برجس) وكانت صديقة لي في ذلك الوقت، وكان لنا بيت صغير صنعناه أنا وهي من الطين في مقدمة بيتنا الكبير نلعب بداخله، وأنشأنا فيه وجار صغير وقد صففنا فيه دلال القهوة وبرادات الشاي (إباريق الشاهي)، تقول: وكنا نمثل دور الكبار ويمضي الوقت ونحن لا نشعر به، وفي يوم من الأيام طال بنا المقام وأخذنا استمتاعنا باللعب، وكان الوالد يمر علينا كعادته عند رجوعه من مجالس الناس، فشاهدنا ونحن داخل البيت الصغير فسلم علينا، فرددنا عليه السلام وقالت له الخادمة برجس: يا عم ما عمرك تقهويت عندنا؟!

فقال لنا: يا بنياتي ما عزمتوني! اعزموني وأنا أجي (أحضر) لكم.

قالت له برجس: خلاص بكرة القهوة عندنا لا تنس. وبالفعل في اليوم التالي بعد رجوعه من بعض المجالس وعند وصوله إلى بيته طرق علينا الباب بقوة وهو يردد بصوت مسموع: يا برجس ... يا برجس. يناديها لتفتح الباب، ففتحنا الباب ورحبنا به، ثم جلس في بيتنا الصغير على سجادة فرشناها له في المحكمة (مكان يجلس فيه من يصنع القهوة) يشرب الشاي والقهوة التي أعددناها له، وتحدث معنا رحمه الله، وعند قيامه قال: هاه وأنت يا بنيتي نورة متى تعزميني مثل برجس؟! فقلت له: بكرة أنا عازمتك على القهوة. وفي اليوم الثاني حضر ونادى عليّ: يا نورة ... يا نورة. يناديني لأفتح الباب، وجلس معنا يشرب القهوة والشاهي فتبسط الحديث معنا وفرحنا بجلوسه جدًّا.

تقول الوالدة: لا زلت أذكر تلك الأوقات الجميلة يوم يأتي للغداء وكنا نجتمع نحن أهل البيت حوله يأنس بنا ونأنس به، ويتحدث إلينا ونتحدث إليه، ويضاحكنا ونضاحكه، وكانت عندنا قطة صغيرة وذكية، تعرف ميقات غدائه فإذا جلس رحمه الله

للغداء جاءت عنده وجلست بجواره هو فقط، فكان الوالد يمسح على ظهرها ويطعمها من غدائه، فإذا نهرها أحد منا عاتبه وقال له: خلوها تتغدى معنا، هي من أهل البيت.

وتستمر الوالدة في الحديث عن الجد رحمه الله، وعن مزاحه معهم فتقول: لما كنا نصب ونقدم للوالد الشاي أو القهوة كان من باب المداعبة والمزاح يأمرنا أن نصب له ثلاثة فناجين، فنجانا له وفنجانا لزوجته الوهمية أم إبراهيم (قد سبق ذكرها) والثالث لزوجته الوهمية أسماء!

**ولهذه الزوجة الأخيرة قصة تقصها عليّ الوالدة فتقول:**

في إحدى السنوات ويوم أن كان جدك الشيخ بمكة المكرمة وكان نازلًا في بيت خالك عبد الله رحمه الله، وكان لهم جيران قريبون منهم، وكانت نوافذهم تشرف على بيت أخي عبد الله، ولهؤلاء الجيران بنت صغيرة العمر خفيفة الظل تسمى أسماء، وكانت تشاهد من خلال نوافذ بيتهم دخول وخروج الشيخ، وفي يوم ما ذهبت هذه البنت مع والدتها لزيارة بيت الأخ عبد الله، فلما اجتمع النساء كانت هذه البنت الصغيرة تقول لوالدتي حصة وهي مازحة: سوف أتزوج أبوكم الشايب (تقصد الشيخ الوالد).

والوالدة ترد عليها وهي تضحك من كلامها، فلما جاء الوالد كعادته وجلس عند أهله ذكروا له ما قالت فيه، وأنها سوف تتزوجه، فضحك الشيخ من قولها، وكان يصور للوالدة أنها زوجته مازحًا، حتى إنه كان يسمي بعض الرواشن باسمها، ويأمرنا مازحًا إذا صببنا له الشاي أن نصب له ثلاثة فناجين، فنجانا له هو وفنجانا لأم إبراهيم (زوجته الوهمية) وفنجانا لزوجته الثالثة أسماء، فما أجمل هذه السماحة والدعابة وما أجمل هذه الأوقات التي عشناها معه.

## قصة ذهاب الشيخ إلى الرياض

في شهر رجب من عام ١٣٦٠هـ وصلت برقية من الملك عبد العزيز رحمه الله إلى أمير عنيزة عبد الله الخالد السليم رحمه الله عن طريق أمير بريدة عبد الله الفيصل؛ لأن عنيزة في ذلك الوقت لا يوجد فيها جهاز برقيات، محتوى هذه البرقية أمر من الملك عبد العزيز يطلب فيه حضور ابن سعدي إلى الرياض ومعه مؤلفه "**تفسير القرآن الكريم**" ورسالة "**يأجوج ومأجوج**" التي كتبها في السابع من صفر سنة ١٣٥٩هـ، فقام أمير عنيزة بإرسال البرقية إلى الوالد رحمه الله، فلما استلمها الوالد وعرف ما فيها قال: السمع والطاعة لولي الأمر.

وكان رحمه الله له رغبة بأن لا يعلم أحد بمحتوى هذه الرسالة وما يريده الملك منه، ولكن لم يتحصل له ذلك، فلما انتشر الخبر وعلم أهل عنيزة بمحتوى الرسالة، قالوا للوالد: نرسل عشرة من كبار جماعة أهل عنيزة إلى الرياض لينظروا في طلب الملك وأنت يا شيخ عبد الرحمن تبقى في عنيزة.

لكن الوالد رحمه الله رفض طلبهم وقال لهم: أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم، فأنا ذاهب إن شاء الله إلى ملك عُرِفَ بالحكمة والعدل، وأنا أعرف من نفسي أنني لم أرتكب خطأ، لكن يمكن حدث التباس بين الناس في فهم كلامي، خاصة من الذين كانوا يحضرون درس التفسير، وسوف أقوم إن شاء الله بتوضيحه وإبداء وجهة نظري لهم. فاقتنعوا على أن يرسلوا مندوبًا عنهم بمكاتيب من أهل عنيزة إلى الملك رحمه الله يبينون فيها سيرة الوالد رحمه الله، وأوكلوا هذه المهمة إلى عبد الرحمن الدخيل رحمه الله، يحمل رسائلهم، ويرافق الوالد في سفره بالسيارة إلى الرياض.

وكذلك أرسلت إمارة عنيزة مكاتيب للملك تزكي فيها الوالد، وتبين مكانته العلمية ومحبة الناس له، وحمل مكاتيب الإمارة صالح العلي السليم رحمه الله نيابة عن آل سليم أمراء عنيزة، والوالد لا

يعلم بما اتفقت عليه إمارة عنيزة ممثلة في آل سليم، بل كانوا يخفون ذلك عن الوالد لعلمهم أن الوالد لا يرضى بإرسال مندوب من الإمارة، فاحتالوا لذلك فجعلوا أولًا مندوبهم صالح العلي السليم يذهب مشيًا على الأقدام جهة شمال عنيزة مارا بالطريق إلى الوادي كأنه يريد محلا له في تلك الجهة، واتفقوا ثانيا مع عبد الرحمن الشحيتان رحمه الله سائق السيارة التي سوف يركب فيها الشيخ أنه إذا توجه إلى بريدة ثم إلى الرياض وكان مروره بطريق الوادي، وشاهد صالح السليم في طريقه يقول للوالد: يا شيخ هذا العم صالح العلي السليم رايح (ذاهب) لمزرعته بالوادي وش رأيك (ماذا ترى) يا شيخ؟ نأخذه بالسيارة نوصله معنا ونقربه لمحله؟ وأكيد الوالد سيوافق، وبالفعل تم هذا الأمر وتوقفت السيارة وركب صالح السليم والشيخ لا يعرف عن هذا التدبير شيئا، ولما ركب صالح العلي السليم معهم وكانت معه المكاتيب (الرسائل) التي كتبها آل سليم للملك عبد العزيز رحمه الله.

قال صالح للوالد: وين رايحين (أين أنتم ذاهبون) يا شيخ؟ خذوني معكم للوادي. فبدأ صالح يسأل الوالد، وكأنه لا يعلم عن الأمر شيئا: وين رايح يا شيخ عبد الرحمن؟

فقال له الوالد: سوف نذهب إلى بريدة نريد السلام على الأمير

عبد الله الفيصل لأن أمير عنيزة قال لي: ما رأيك تمر على الأمير ابن فيصل تسلم عليه وهو رجل طيب ويحبك ويحب أهل العلم. قال صالح العلي للوالد: أريد الذهاب معكم للأمير أسلم عليه ما دمتم رايحين لمه (ذاهبين اليه). قال له الوالد: حياك الله وأهلا وسهلًا. والوالد وصالح كلاهما يخفي عن الآخر مقصده، وكل واحد منهم يوري عن الآخر. وفعلًا ركب معهم وذهبوا إلى بريدة جميعًا، وهم الوالد وصالح العلي السليم وعبد الرحمن الدخيل وعلي المحمد الشيوخ والسائق عبد الرحمن الشحيتان، وكانت السيارة التي تقلهم خاصة بأمير عنيزة عبد الله الخالد السليم.

وبعد وصولهم إلى بريدة اتجهوا إلى بيت الأمير عبد الله الفيصل رحمه الله، فأكرمهم ورحب بهم وتغدوا عند الأمير ذلك اليوم، ولما أراد الوالد مواصلة السفر من هناك إلى الرياض قام صالح العلي السليم رحمه الله وأقسم على الوالد بأيمان مغلظة طالبا إليه الذهاب معهم إلى الرياض، فاستجاب الوالد له ووافق على مرافقته إلى الرياض.

وكان الوالد قبل ذلك لا يريد أحدًا يسافر معه غير الذين خرجوا معه من عنيزة لكنه استحيا من صالح العلي وهو الذي يقدره ويجله، فخرجوا من بريدة متجهين الى الرياض ومعهم

الرسائل الموجهة للملك عبد العزيز رحمه الله.

ووصل الوالد ومن معه إلى الرياض، وقد تم تجهيز بيت كبير للوالد ومرافقيه، فيه الفرش والأطعمة وغيرها من الاحتياجات الضرورية. وقد وافق وصولهم إلى الرياض يوم الجمعة، فقابل الشيخ الوالد مندوب الملك وقال: سوف يتم مقابلة الملك والسلام عليه يوم الاثنين القادم، ولأنه كانت من عادة المشايخ أنهم يحضرون جميعًا عند الملك يوم الاثنين للسلام عليه فانتظر الوالد ذلك اليوم لمقابلة الملك، وفي هذه الفترة أرسل الوالد إلى المشايخ نُسَخًا من تفسيره المخطوط ليطلعوا عليه قبل مقابلتهم في مجلس الملك.

في هذه الفترة قام كثير من المشايخ بزيارة خاصة للوالد في مكان ضيافته بالرياض ومن هؤلاء الشيخ عمر آل الشيخ رحمه الله، وهو من محبي الشيخ الوالد، وفي يوم الاثنين ذهب الوالد للقصر الملكي وجلس بمحل يجتمع فيه المشايخ عادة ينتظرون فيه قدوم الملك للسلام عليه، والدخول معه، أما عن مصير المكاتيب التي كتبها أهل عنيزة والتي حملها عبد الرحمن الدخيل والمكاتيب التي أرسلها آل سليم أمراء عنيزة وحملها

صالح السليم، فقد سلمت إلى الديوان الملكي يوم السبت الذي يسبق لقاء الملك بالمشايخ.

ولما حضر الملك قام المشايخ وسلموا على الملك، ورحب الملك بالوالد وأثنى عليه خيرا ودخلوا القصر جميعا، فبدأ المشايخ بالثناء على الوالد في مجلس الملك فقال الملك للوالد: يا شيخ عبد الرحمن إن المشايخ قد اطلعوا على تفسيركم وأعجبهم ذلك، فاستمِرَّ به، أما رسالتكم وبحثكم في يأجوج ومأجوج فما جاء وقتها، خلها عندك واحتفظ بها.

فقال الوالد للملك: إذا كان أحد من المشايخ يريد أن يسأل عن شيء أو يرغب البحث في هذه المسألة فأنا تلميذ من تلاميذهم، وجزاهم الله عني كل خير. فقال الملك رحمه الله: على ما قلت لك أولًا، أما التفسير انشره، وأما الرسالة اتركها بالوقت الحاضر ولا يحتاج الأمر إلى نقاش وبحث في هذا المجلس. وانفض المجلس بالسلام على الملك وعلى الوالد، فقال الملك وهو خارج من مجلسه: يا شيخ عبد الرحمن نوينا السفر إلى القصيم بعد يومين وإن شاء الله تخاوينا (تصحبنا). فقال الوالد: السمع والطاعة. قال له الملك: إذن الوعد المدي (مكان

في طرف الرياض من جهة الغرب) عقب صلاة عصر الأربعاء.

أما عن ادعاء بعض مَن كتب في هذه الحادثة، وقولهم بأن الملك عبد العزيز قد أغلظ الكلام على الشيخ عبد الرحمن، وأنه هدده بأن مصيره سوف يكون مثل مصير بعض العلماء السابقين أمثال ابن جاسر وابن عمرو، وأنه سوف يرسله إلى جنوب المملكة! فهذا لم يحدث، ولو حدث ذلك لعلمه مرافقو الشيخ ومحبوه، ولنُقِل لنا كما نُقِلت لنا تفاصيل هذه الحادثة من الثقات الأفاضل!

وقد التقيت بالوالد وقت قدومه رحمه الله إلى الرياض يوم قدومي من الجبيل إلى الرياض في مهمة عمل خاصة بالعم سليمان فلم يحدثنا رحمه الله عن شيء مما ذكره الكاتب، وقد أرسل الأخ أحمد رحمه الله برسالة إلى الشيخ ابن عثيمين فيها تفاصيل سفره إلى الرياض ولم يذكر شيئا مما ذكره مؤلف كتاب "**تاريخ من لا ينساه التاريخ**" !

وبعد انتهاء الاجتماع، وخروج الوالد من مجلس الملك، كان هناك رجل من قِبَل ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز ينتظر خروج الوالد، فلما أقبل عليه الوالد قال له الرجل: يا شيخ

عبد الرحمن، عمي (ولي العهد) يريد مقابلتك. فذهب الوالد إلى مكتب ولي العهد، وقابل الأمير سعود بن عبد العزيز، وكان رحمه الله يحب الوالد ويقدره ويعرف منزلته عند أهل العلم. دخل عنده الوالد بمفرده ولم يدخل معه أحد من الذين رافقوه، أو ممن حضر معه مجلس الملك، ولم يُحَدِّث الشيخ بما جرى في مجلس ولي العهد.

وبعد اجتماع الوالد بولي العهد خرج رحمه الله وتوجه إلى منزله بالرياض بانتظار يوم الرحيل إلى عنيزة، فتوافد كثير من أهل عنيزة ومن محبيه إلى منزله بالرياض للسلام عليه، وتهنئته على انتهاء المحنة التي كانوا يعيشونها تلك الأيام، كذلك ظهر سرورهم وفرحهم بثناء الملك والمشايخ عليه رحمه الله. ولما كان يوم الرحيل إلى عنيزة، الذي واعد فيه الملكُ الوالدَ، مررنا على المدي وتزودنا هناك من الماء لأجل السفر، ثم وقفنا قرب ممر سيارة الملك، وكانت الشوارع تلك الأيام طينية وغير ممهدة. ولم تمض عشر دقائق أو أقل حتى شاهدنا موكب الملك قادمًا من بعيد، فانحرفت سيارة الملك تجاه سيارة الوالد فوقفت سيارة الملك قريبة منا، فسلم على الوالد وعلى من كان معه، وتأكد رحمه الله من صلاح سيارتهم للسفر وأنه لا ينقصهم شيء من

أغراض السفر، وقد رافقت الوالد في سفره إلى عنيزة.

وأذكر في مسيرنا إلى عنيزة أننا كلما مشينا ساعتين أو ساعة ونصف أمر الوالد السائق بالوقوف من أجل الوضوء أو نقضه أو من أجل إعداد القهوة والشاي، وكذلك من أجل إعطاء السائقين ومن معه وقتا للراحة، وأذكر أن بعض مرافقيه ممن ابتلي بشرب الدخان، ويستحيون من التدخين أمام الشيخ لعلمهم بأن الشيخ يرى تحريمه وأنه كتب في ذلك رسالة لطيفة تبين مضاره الدينية والدنيوية، كانوا يستغلون هذه الفترة، وكان رحمه الله لا يألو جهدًا في نصحهم وإقناعهم بتركه مع اللطف واللين وعدم الإكراه، وهذا من سماحته وحكمته، فله الفضل رحمه الله في هداية كثير من المدخنين.

ولما وصلنا عنيزة وكان ذلك قبل المغرب بنصف ساعة تقريبًا وجدنا جمعا غفيرا من أهل عنيزة ينتظرون وصول الوالد خارج البلد تحت الصنقر (علم مرتفع شرق عنيزة)، فلما شاهدوا الوالد فرحوا به أشد الفرح، مع العلم بأنهم لا يعرفون متى يصل ولم يكن لديهم أخبار بموعد وصوله، لكنهم كانوا يتحرون وصوله إلى عنيزة ورجوعه من الرياض في تلك الأيام.

والعجيب من سماحة الوالد رحمه الله وسعة صدره أنه لما رجع إلى عنيزة لم يؤاخذ أو يعاتب طلبة العلم، أو من وشى به عند الملك والمشايخ أو كان سببًا في ذهابه إلى الرياض، فلم يحقد عليهم أو حتى يتكلم عنهم في مجلس من المجالس، بل كان رحمه الله يعتذر لهم ويقول: إنهم مجتهدون في رأيهم ولا يلامون على ذلك.

ولما بدأ أهل عنيزة يحتفلون بوصول الوالد وأخذ بعضهم يدعو الوالد على القهوة والشاي، كان ممن دعى الوالد إلى القهوة أحد المعارضين له ومن كان سببًا مباشرًا في إحداث الفتنة وذهابه إلى الرياض، وذلك بعد وصوله بثلاثة أيام فقبل الوالد الدعوة وذهب إليه في منزله ولم يعاتبه، وكأن شيئا لم يكن، فكان أثر تلك الزيارة عظيما على أهل عنيزة وعلى المتسببين في هذه الفتنة، حيث إن بعض محبي الشيخ أخذ يتعرض لهؤلاء الذين كانوا يعارضون الوالد، فأنهى رحمه الله الخلاف بتلك الزيارة.

وقد كتب الشيخ عبد العزيز بن عقيل رحمه الله والد الشيخ عبد الله العقيل حفظه الله الأبيات التالية، والتي تصف حال أهل عنيزة مع هذه الكربة فاخترت منها بعض الأبيات:

أحمد الله الذي أطفا سناها
قبل أن تبلغ نفسي منتهاها
شعلة النار التي عجت بنا
حسبنا الله على من قد بداها
كربة عمت بلادي كلها
أظهرت منها شعورا قد تناهى
شيخنا النابغ في أقرانه
عمره ما أتبع النفس هواها
يا حكيمًا باذلًا حكمته
ما ترشح للمناصب أو نواها
نحن أدرى بعقيدة شيخنا
قرر التوحيد من غير اشتباها
وله في الناس سمت صالح
عم معروفا رجالا ونساها
ثق بأن الله كافٍ عبده وأرى
الحساد جاها ما كفاها

* * *



# ما عرفته عن الجد

# الشيخ عبد الرحمن السعدي

# ما عرفته عن الجد
# الشيخ عبد الرّحمن السَّعْدِي
# قراءةً وسماعًا

في عام ١٤١٩هـ كلفني الخال محمد والخال أحمد رحمه الله -ثقةً منهما بشخصي، وتشريفًا لي رغم تقصيري- بمتابعة كتب الجد ومؤلفاته المخطوطة، وكنت أجد متعة كبيرة وأنا أقلب وأقرأ مؤلفاته، وكان من أثر ذلك أن تم تحقيق بعضها وإخراج المخطوط منها للنور، ولا زال العمل مستمرا بحول الله وقوته، فنسأل الله حسن النية.

ورأيت أنه لزامًا علي أن أسطر بعض ما وجدته في هذه المخطوطات وإن لم ألتزم الترتيب، وهذا بقدر ما يعين على دراسة سيرة الجد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، وهو جهد المقل من كاتب غير متخصص؛ ليضاف إلى جهد الخال محمد في هذا

الكتاب، وأنا أذكر الشيخ رحمه الله بصفة الجد حتى يُفرق بين قولي وقول الخال محمد الذي كان يذكره بصفة الوالد، وأحب أن أكمل معك -أيها القارئ الكريم- سيرة الجد رحمه الله، فأقول وبالله التوفيق.

## شيوخه

تلقى الشيخ الجد العلم والمعرفة على عدد غير قليل من العلماء الأفذاذ الذين أخذوا العلم من مصادر ومشارب مختلفة ومتعددة ومن أقطار وبلدان واسعة فمن هؤلاء:

- الشيخ علي بن محمد السناني (١٢٦٣هـ -١٣٣٩هـ) له اليد الطولى في التفسير والحديث وكان رحمه الله ذا خط جميل جدًّا.

- الشيخ علي بن ناصر بن وادي (١٢٧٣هـ- ١٣٦١هـ) عالم وبحر في الحديث، أخذ علم الحديث عن علماء الحديث في الهند، منهم الشيخ نذير حسين والشيخ صديق حسن، وتطبّع بطبع أهل الحديث في العبادة والأخلاق الحميدة، وقد أجاز الجد عبد الرحمن بمروياته رحمه الله.

- الشيخ إبرهيم بن حمد بن جاسر (١٢٤١هـ-١٣٣٨هـ) كان

رحمه الله يحفظ الصحيحين، وقال عنه الجد عبد الرحمن: إنه يستحضر شرح النووي على مسلم. وقد تلقى الشيخ إبراهيم العلمَ على علماء الشام وفي صالحية دمشق، ولازم علماء الحنابلة في نابلس.

- الشيخ المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٢٧٠هـ - ١٣٤٣هـ) درس رحمه الله على علماء العراق والهند، وأجاز الجد عبد الرحمن بمروياته من كتب الحديث.

- الشيخ العابد المقرئ المجود عبد الله بن عائض (١٢٤٩هـ - ١٣٢٢هـ) كان رحمه الله حسن الخط، جميل الصوت، إمام مسجد الجوز في عنيزة، وقد تلقى العلم من شيوخ كبار في مكة ومصر، كذلك من كبار علماء نجد منهم الشيخ عبد الله أبا بطين، والشيخ علي المحمد (كانت وفاته في مقبرة عنيزة بعد انتهائه من دفن أحد الموتى!).

- الشيخ صالح بن عثمان القاضي (١٢٨٢هـ - ١٣٥١هـ) لازمه الشيخ الجد وجلس بعده للتدريس، رحل الشيخ صالح إلى مكة المكرمة ومصر لطلب العلم، فحصل له من ذلك الكثير رحمه الله رحمة واسعة.

- والشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل (١٢٥٧هـ- ١٣٤٣هـ) تلقى العلم على علماء الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، ورحل إلى مصر والشام والعراق والكويت فحصل من علمائها العلم الغزير رحمه الله.

- والشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع (١٣٠٠هـ- ١٣٨٥هـ) وهو رحمه الله مدير عام المعارف سنة ١٣٦٥هـ، وصاحب المؤلفات المعروفة، أخذ عن علماء بغداد ومصر والبصرة ودمشق.

- والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وقد تأثر الشيخ الجد بطريقته في التدريس، وأسلوبه في التعليم.

- والشيخ صعب بن عبد الله التويجري (١٢٥٣هـ-١٣٣٩هـ) كان من العباد المعروفين بكثرة قراءته وتلاوته لكتابه الله العظيم، وقيل: إنه كان يقرأ القرآن وهو نائم رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

## مؤلفات الشيخ وشروحه

من أوائل مؤلفات الجد منظومة أصول الفقه انتهى منها في ١٨/ ١١/ ١٣٣١ وعمره ٢٦سنة.

- جمع رحمه الله كتاب **الإنصاف، ونَظْمَ ابن عبد القوي** في ثمان مجلدات (اثني عشر جزءًا) كان مبتدأه في ٤/ ٩/ ١٣٣٧ هـ وعمره ثلاثون سنة، وانتهى منها في جمادى الأولى سنة ١٣٣٩هـ، وقد بلغ مجموع صفحاتها ألفين وأربعمائة وستة وخمسين صفحة من القطع الكبير .

وأغلب مؤلفاته المشهورة كتبت بين عامي ١٣٥٥ هـ و١٣٧٦هـ.

### ومن أواخر كتبه:

- "**القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة**" انتهى منه في ٢٢/ ٣/ ١٣٧٥هـ.
- كتاب "**الدرة البهية في حل المشكلة القدرية**" انتهى منه في ٨/ ١٢/ ١٣٧٤هـ.
- كتاب "**نور البصائر والألباب**" انتهى من تأليفه في ٢٧/ ٤/ ١٣٧٤هـ.

- كتاب "**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**" كتاب غني عن التعريف، كان قد بدأ في كتابته بتاريخ ٢٩ / ٣/ ١٣٤٣ هـ وعمره سبع وثلاثون سنة وانتهى منه في غرة ربيع الأول سنة ١٣٤٤هـ، واختصره بكتاب "**تيسير اللطيف المنان**" في ٣/ ١٠/ ١٣٦٨هـ.

يقول عنه الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رئيس مجمع الفقه الاسلامي وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة: نفع الله الشيخ ابن سعدي بهذا السبق العلمي من عالم نجدي؛ فإني لا أعلم في النجديين مَن له تفسير كامل لكتاب الله تعالى بهذا السبك والجودة، فقد قضى الشيخ ابن سعدي رحمه الله الدَّين عن من قبله وسبق من بعده، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

- وجمع رحمه الله ألفًا وخمس عشر قاعدة وأصلًا شرعيًّا من كتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله سنة ١٣٧٠هـ في كتابٍ واحد بعنوان "**طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول**".

- ورسالته المشهورة "**الوسائل المفيدة للحياة السعيدة**" كتبها في رحلته العلاجية إلى لبنان سنة ١٣٧٣هـ بعد قراءة كتاب "**دع القلق وابدأ الحياة**" لمؤلفه دايل كارنيجي.

## منهج الشيخ في التدريس:

كان الجد رحمه الله يحب التنويع في أساليب التعليم وشحذ أذهان طلابه للوصول إلى أحكام المسائل العلمية، فكان رحمه الله لا يتقيد بأسلوب أو طريقة واحدة، بل كان يعدد الأساليب على غير عادة أهل نجد ذلك الوقت.

فمن الطرق التي كان يتبعها رحمه الله طريقة التعليم التعاوني، وهي تقسيم الطلاب إلى فرق ومجموعات عمل، كل فرقة تبحث في مسألة علمية واحدة، وكان لكل مجموعة رئيس تُسمى به، وكان رحمه الله يجمع إجاباتهم في بحث واحد، وقد اطلعت على نموذج من هذه البحوث العملية بعنوان "**تذكرة أولي الألباب في ذكر السؤال والجواب مرتب في الفقه على الأبواب من أجوبة أصحابنا الأنجاب**" فهو يحتوي على إجابات الطلاب واستقصائهم لبعض المسائل الفقهية وأدلتها على ترتيب قراءتهم في مختصر المقنع. ويكون للشيخ دور في إكمال البحث، فينتصر لرأي الفريق الأكثر صوابا لكي يكون هذا تذكرة لهم ولغيرهم، وفي مقدمة هذا الكتاب يقول رحمه الله: إذا قيل: الجواب لعيد وأصحابه فالمراد بهم:

١ - عبد الله بن عبد العزيز بن عيد التميمي.

٢ - إبراهيم بن صالح إبراهيم الجفالي.

٣ - عبد العزيز بن حمد البراهيم المصيريع.

٤ - عبد الله عثمان الحماد الخويطر.

٥ - حمد عثمان الحماد الخويطر.

٦ - محمد بن منصور بن إبراهيم الزامل.

فإذا قيل: الجواب لعلي وأصحابه فالمراد بهم :

١- علي بن محمد العبد الله الخويطر.

٢- صالح بن محمد الحمد العبد العزيز البسام.

٣- أحمد المرشد الزغيبي.

٤- ناصر بن حمود العوهلي.

٥- صالح بن محمد بن ناصر العوهلي.

٦- عبد الله بن محمد بن ناصر العوهلي.

٧- عبد العزيز بن محمد بن ناصر العوهلي.

٨- زامل بن إبراهيم الزامل.

٩- علي بن حسن العلي البريكان.

١٠- عبد الله بن حسن العلي البريكان.

وقد سار على طريقته وأسلوبه طلابه من بعده، فيذكر الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله في أحد دروسه المسجلة أن الشيخ عبد الرحمن بن سعدي كان يختبر حضور أذهان الطلاب بأن يتعمد ذكر بعض المسائل بصورة مغلوطة، وينظر إليهم هل يراجعونه في ذلك أم لا. فيفرح رحمه الله إذا ردوا عليه المسألة وصححوا له الغلط.

وكان له أسلوب جميل في حفز الطلاب وتشجيعهم، فكان يعطي على حفظ المتون العلمية والإجابه على الأسئلة التي يوردها الجوائز الثمينة، وكان رحمه الله يبعث فيهم دوافع التعلم والبحث عن المعارف الجديدة.

يقول الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام رحمه الله: من حسن تعليم الشيخ عبد الرحمن أن درسه لا يرتفع على فهم المبتدئ ولا يهبط عن مستوى استفادة المنتهي، وهذه موهبة من الله تعالى ألهمها هذا العالم الكبير.

كان رحمه الله يساعد الطلاب على تطبيق ما تعلموه، وإعطائهم فرصة ممارسة دور المعلم والداعية، فكان يرسل بعض طلابه النجباء ليؤموا الناس في مساجدهم خاصة في صلاة التراويح والتهجد، وكانوا يقرؤون على المصلين ما يحفظونه من دروس شيخهم ابن سعدي. وقد تطلب جماعة المسجد تلميذًا بعينه لما يتميز به من جمال الصوت وملكة الحفظ كما ذكر ذلك الشيخ عبد الله البسام رحمه الله في تاريخ علماء نجد.

ومن طرق تربيته لطلابه أنه كان يُكَلِّف مَن يرى فيه القدرة العلمية والمهارة المتميزة في تدريس وتعليم صغار الطلبة، ومن هؤلاء: الشيخ محمد العبد العزيز المطوع، والشيخ علي الصالحي رحمهما الله. و من طلاب الشيخ علي الصالحي الشيخ ابن عثيمين، والشيخ علي الزامل.

## تلاميذ الشيخ

ذكر الشيخ محمد السليمان البسام في مقدمة كتاب "**التعليق وكشف النقاب**" عددًا من طلاب الشيخ بلغوا أكثر من سبعين طالبًا، بينما ذكر الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام رحمه الله في كتاب علماء نجد عند ترجمته للشيخ عبد الرحمن أن عدد

طلاب الشيخ عبد الرحمن بلغ مائة وخمسين طالبًا ، ولعل الفرق بين الرقمين أن الشيخ عبد الله ذكر جميع من جلس في مجلس الشيخ ولو لفترات قليلة فمنهم من جلس للتعلم وانقطع لانشغاله بشئون المعيشة ومنهم من استمر وبرع بالعلم والمعرفة أو تقلد المناصب الرسمية العالية.

## بعض المتون والكتب التي شرحها الشيخ لطلابه

ذكر الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام رحمه الله في كتابه علماء نجد بعض الكتب التي قام الشيخ الجد بتدريسها في مجالسه العلمية فمنها :

١- كتاب التوحيد.

٢- كتاب الواسطية.

٣- شرح الطحاوية.

٤- نظم السفاريني.

٥- شرح الشيخ على نونية ابن القيم.

٦- تفسير الجلالين.

٧- صحيح البخاري.

٨- منتقى الأخبار.

٩- كتاب بلوغ المرام.

١٠- كتاب عمدة الحديث.

١١- نظم البيقونية.

١٢- نخبة الفكر.

١٣- مختصر المقنع وشرحه الروض المربع.

١٤- منتهى الإرادات وشرحه للشيخ منصور البهوتي.

١٥- كتابه منهج السالكين.

١٦- الإرشاد إلى معرفة الأحكام.

١٧- متن الرحبية وشرحها للمارديني.

١٨- متن الورقات في أصول الفقه.

١٩- مختصر التحرير.

٢٠- القطر وشرحه لابن هشام.

٢١- ألفية ابن مالك.

٢٢- كتاب الحماسة لأبي تمام وشرح عليها، ملخصًا من شرح التبريزي.

٢٣- معلقة زهير بن أبي سلمى وشرحها للزوزني.

وغيرها من كتب السلف رحمهم الله ومؤلفات أئمة الدعوة وكتبه ورسائله الكثيرة.

* * *

## منهج الشيخ في الفتوى

من سيرة الجد رحمه الله أنه كان حريصًا على جمع الكلمة وتوحيد الصف، فلا يواجه الفتوى المشهورة ذلك الوقت مراعاة للمصالح، وسدًّا للمفاسد التي قد تنشأ من تعدد الفتوى، وكان رحمه الله يتوقف عن الفتوى وإن كان يرى أن أدلته أقوى كما هو الحال في مسألة الطلاق بالثلاث، وشاهِدُ ذلك ما ذكره رحمه الله ردًّا على سؤال سأله العم الشيخ عبد الله العبد العزيز العقيل حفظه الله -وهو أحد طلابه النجباء الأذكياء- عما استشكل ذلك الوقت بين طلبة العلم، نحو فتوى الشيخ ابن محمود رحمه الله في كتابه بجواز الرمي قبل الزوال.

فذكر الشيخ عبد الرحمن أدلة الجمهور، وكذلك أدلة صاحب الكتاب، ومن ثم رجح أدلة صاحب الكتاب، لكنه يرى أنه لا ينبغي الإفتاء بها ذلك الوقت لتعارضها مع الفتوى العامة، ولا يرى بأسًا أن تكون على سبيل المذاكرة والمناظرة، ولمزيد من التفصيل ارجع إلى كتاب "**الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة**".

وهذا السلوك أيضا يمكن مشاهدته من تأليفه رحمه الله للرسائل التي تحتوي على المناظرات الفقهية، وبعضها جمعت في

كتاب "**المناظرات الفقهية**" ، وهي على صورة محاورة بين رجلين سماهما : المتوكل على الله والمستعين بالله، ومنها "**المناظرة في الأنواط النقدية**" وله كتاب "**المختارات الجلية**".

ومن سيرة الجد رحمه الله، أنه إذا سأله أحدهم عن حكم أو مسألة فقهية فإنه يجيب بأدلة صحيحة وأسلوب سهل يفهمه العالم والعامي والكبير والصغير، ولا يكتفي بذلك، بل إذا كان المقام يحتاج إلى جواب عن سؤال لم يسأله السائل فإنه يقرن جوابه الثاني بجوابه الأول، وشاهد ذلك أنه سئل عما اعتاده الناس عند الفراغ من الطعام أو الشراب بقولهم: هنيئا. فأجابهم على سؤالهم هذا وزادهم الجواب عن حكم قولهم إذا قدم لهم عزيز بـ"قرة عينك" ، وكان له برسول الله أسوة حسنة لما سئل ﷺ عن ماء البحر.

## كيف كان يؤلف؟

من اطلع على أوراق الجد ورسائله المخطوطة، يجده رحمه الله حريصًا على تدوين الفوائد واللطائف التي يسمعها أو يقرؤها، فلا تغيب ولا تشرد عن ذهنه، فهو يقوم بتسجيلها على أوراق يصل حجم بعضها إلى أصغر من كف اليد، أو قد يكتبها بظاهر الرسائل التي ترد إليه أو على أغلفة كتبه أو مخطوطاته،

أو على أي شيء قريب يمكن الكتابة عليه، وقد جمع كَمًّا من هذه الفوائد فأخرج بعضها في كتابه المعروف "**مجموع الفوائد واقتناص الأوابد**".

وكان الجد رحمه الله يحرص على استخدام الدفاتر ذات الحجم الكبير والغلاف السميك، والتي كانت تُشترى له من عنيزة أو من مكة المكرمة أو التي كانت تهدى إليه من بعض أبنائه، والمطلع على مخطوطات الجد يجد أن أكثر مؤلفاته كتبت في دفاتر محاسبية مرقمة. ولعل سبب اختياره رحمه الله لهذه الدفاتر هو سيولة قلمه، وتزاحم الأفكار عليه، فيتسابق القلم مع الفكر، مما يجعلُ تقليب الأوراق والصفحات عائقًا في الكتابة.

وقد روت لي الوالدة حفظها الله وهي تتذكر تلك الأيام التي كان يجلس فيها رحمه الله، في ذلك المكان الضيق، وفي مستراح درج منزله الطيني (وسط السلم) الذي خرج منه المؤلفات الكبيرة، أنها كانت تراه معظم أوقاته، والقلم في يده، والدفاتر والأوراق بجانبه، وكان يرحمه الله يجاذبها الحديث ويسترسل، واليد تعمل في التأليف. فلا يمل رحمه الله من الكتابة، والتأليف، والنسخ، والرد الخطي على المستفتين، وتدوين الفوائد، ونسخ صكوك الأوقاف الجديدة والقديمة، وتثبيت المداينات بين الناس.

وقد اطلعت على مُؤَلَّفٍ له رحمه الله وقد نسخه بخط يده ثلاث مرات.

ومن سيرة الجد رحمه الله في التأليف أنه لا يطيل في مقدمة كتبه بل يختصر المقدمة بما يفي بالغرض حفاظًا على وقت القارئ، وفي بعض كتبه المشهورة لا تتعدى مقدمة الكتاب عشرة أسطر، وفي كتابه الفقهي "نور البصائر والألباب" لم تتجاوز مقدمة الكتاب خمسة الأسطر فقط.

وقد يثني رحمه الله على مؤلفاته إذا رأى أن الكتاب يستحق الثناء والإطراء، ويمكن مشاهدة ذلك في مقدمة كتابه "**القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**" ، فقال رحمه الله: أما بعد؛ فهذه أصول وقواعد في تفسير القران الكريم جليلة المقدار عظيمة النفع، تعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله والاهتداء بها، ومخبرها أجل من وصفها، فإنها تفتح للعبد من طرق التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يغني عن كثير من التفاسير الخالية من البحوث النافعة". انتهى.

يقول الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله في شرحه للكتاب: وثناء شيخنا عبد الرحمن ابن سعدي على كتابه ليس

بغريب؛ لأن ثناء أهل العلم على مؤلفاتهم لا يقصدون به الفخر والتفاخر على الخلق، إنما يقصدون شد الناس إلى قراءتها والالتفاف حولها، وله من سلف الأمة قدوة بقول ابن مسعود رضي الله عنه: لو أعلم أن أحدا تناله الإبل أعلم بكتاب الله مني لرحلت اليه. كذلك ثناء ابن مالك على ألفيته.

و يختم كتبه رحمه الله بقوله: قال ذلك وكتبه جامعه العبد الفقير إلى الله في كل أحواله عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين. ولا ينسى ذكر تاريخ الانتهاء منها.

وفي سنة ١٣٤٠هـ حصل على إجازة في رواية الكتب الستة ومسند الإمام أحمد وموطأ الإمام مالك ومشكاة المصابيح من شيخه أبي عبد الله علي بن ناصر أبو وادي، والذي تلقاها من محدث الأقطار الهندية السيد محمد نذير حسين الحسيني الدهلوي سنة ١٢٩٩هـ.

وله إجازة من شيخه إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي سنة ١٣٤١هـ في رواية الكتب الستة وموطأ الإمام مالك وكتب الصحاح والمسانيد وكتب الفقه والأصول.

قال فيها الشيخ إبراهيم رحمه الله: هذا، وإن ممن لاحظته العناية، وسبقت له منا الهداية، وألقت إليه المعارف والعلوم زمامها، وسلمت إليه البلاغة كمالها وتمامها، الطالب الراغب، صاحب الفهم الثاقب، الولد الصالح الذكي، الفطن الورع التقي، الطاهر القلب، السليم المنتخب، من أشراف قبيلة بني تميم، الناشئ في طاعة الله المعيد المبدي عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، أنار الله بوجوده حنادس المعارف، وأبدى بحقائق تحقيقه مكنونات اللطائف، وصرف المولى عنه صروف الردى، ولا زال علمًا يستضاء بنوره ويهتدى، قد قرأ علي وسمع أطرافا من الكتب الستة وفي مسند الإمام أحمد، ومن الموطأ وغير ذلك من كتب الحديث والفقه، وبعد ذلك طلب مني لإحسانه وحسن ظنه بي أن أجيزه بمروياتي، وأوشحه برواية مسموعاتي، وكنت ممن نظمه الأئمة الأعلام في سلك الإسناد، وأجازوه بما يجوز لهم وعنهم رواياته... إلخ.

وكان رحمه الله يستخدم في بادئ تأليفه للكتب القلم والدواة (الحبر الأسود والأحمر) على ما فيهما من الجهد والتكلفة، وفي آخر عمره كان يكتب بالأقلام الحديثة (الباركر)، ويمكن معرفة كتبه التي أعاد نسخها مرة أخرى بدقة وجمال خطه، وفي بعض

الأوقات يكتب أو يعلق بالأقلام الملونة (الأحمر والأزرق) وهي أقرب ما تكون لأقلام الرسم الخشبية.

## كتب شَرَع فيها ولم يكملها

وكان للشيخ الجد في أيامه الأخيرة شروع وبدايات في تأليف بعض الكتب، لكنه سبق عليه الكتاب فتوفاه الله قبل إكمالها، من هذه الكتب:

١- شرح كتاب الإيمان "باب معرفة الله والإيمان به" للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

٢- شرح للقواعد الشرعية الأصولية من كتابه الرياض الناضرة وذلك عندما طلب إليه بعض المحبين التعليق عليها وشرحها.

٣- شرح أحاديث كتاب بلوغ المرام.

وقد وجدت أن جمعها في كتاب واحد قد يفيد المكتبة الإسلامية ويعين على دراسة منهج الشيخ في التأليف والكتابة، فلعل الله ييسر لنا جمعها وإخراجها للنشر، نسأل الله الإعانة على ذلك.

وللشيخ بعض الكتب والرسائل التي تحتاج إلى تحقيق وعناية، وهي ما زالت في طور المخطوط والترميم والتعقيم، فلعل الله ييسر إخراجها ونشرها.

* * *



# الشيخ الداعية



# الشيخ الداعية

## بين الكلمة المسموعة ... والكلمة المقروءة

### الشيخ خطيبا

كان الشيخ خطيبا له أسلوبه المتميز في الخطابة، ويحترم ويقدر عقول سامعيه فيما يتناوله ويعرضه من موضوعات، وكان رحمه الله يحب التنوع في الخطب التي يلقيها يوم الجمعة، وكانت خطبه سلفية المنهج، واقعية الفكر والطرح، قريبة من المجتمع الذي يعيش فيه، يصل فيها المستمعين بواقعهم والظروف التي تمر بها أمتهم الإسلامية، يتناولا فيها القضايا العصرية، ولا يغفل المناسبات الشرعية والاجتماعية.

ومن تتبع خطبه المطبوعة والمخطوطة، يجده يتلمس ويتحسس ظروف الناس وأحوالهم، فتارة يخطب عن المطر والسيول ونعمة الله ومساعدة الناس المتضررين وحثهم على الصبر

وبذل النفس، وتارة يخطب عن الجراد الذي أهلك الزرع والحرث فأضر بالمزارعين، وفي جمعة أخرى يخطب عن العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٣٧٥هـ من قبل فرنسا وإنجلترا وإسرائيل، وكشف مؤامرات أعداء الأمة الإسلامية. وهناك خطبة عن الحج لتبصير الناس بأمور دينهم، وخطبة عن الأمراض المعدية والحث على أخذ التطعيمات لهذه الأمراض، ولما خاف منهم التراخي في التطعيم أخذ يحث ويحرض الرجال على أخذ أولادهم وأهليهم من الذكور والإناث إلى دكتور الدولة وسرعة تعضيبهم (التطعيم) وبيَّن لهم أن هذا الفعل لا يخالف عقيدة القضاء والقدر، كل ذلك حفاظًا على أرواحهم. وله خطبة لما توفي الملك عبد العزيز رحمه الله يذكر فيها عِظَمَ المصاب، ويذكر مناقبه وأعماله الجليلة، وقد ذيلها على غير عادته بوضع وقت إعدادها وكتابتها بالساعة فقال: الساعة الثالثة صباحًا ٣/ ٣/ ١٣٧٣ هـ يوم الثلاثاء، ولعله وجد هناك نوعا من المصادفة في الرقم ثلاثة، وله خطبة سنة ١٣٧٦ هـ وهي من أواخر خطبه في شكر الوزير ابن سليمان وحث الناس على معرفة الفضل، والدعاء له وشكره لما قام به، وشُكْرِ من عاونه في تمديد وتوصيل المياه إلى بيوت ومنازل عنيزة بعد أن كان الناس يحصلون عليه بمشقة وتعب.

وله خطب متنوعة وكثيرة لا يسع المقام لذكرها.

ولم يكن يطيل فيُمل ولا يختصر فيخل، وكان يكتب خطبه على أوراق صغيرة يقرأ منها ثم يحتفظ بها، وفي كثير من الأحيان يتسابق طلابه إلى أخذها ونسخها كما ذكر لي ذلك أحد طلابه وهو الشيخ عبد الله العمري رحمه الله (توفي سنة ١٤٢٦هـ).

وكان رحمه الله في أول أمره يقرأ من خطب مشايخه السابقين وأئمة الدعوة السلفيين، ثم بدأ بعد ذلك يستقل بنفسه فيخط بقلمه ما يحمله فكره ويناسب عصره فخرجت منها ثلاثة دواوين مطبوعة.

فسار طلابه على نهجه وقد رأيت بخط الشيخ محمد الصالح العثيمين وعلى ذيل كثير من خطب الجد المخطوطة تعليقات يذكر فيها أنه أعاد قراءتها مرة أخرى، ومن ذلك قول الشيخ ابن عثيمين: قرئت يوم الجمعة الموافق ١٤/ ٢/ ١٣٧٨هـ. أو قوله: جعلتها الخطبة الثانية في تاريخ كذا وكذا.

## الشيخ ورسالة القلم

ومن سيرته رحمه الله أنه كان متابعا جيدًا للمجلات العلمية والشرعية التي تصدر داخل المملكة وخارجها، ولم يكن يكتفي

رحمه الله بالمطالعة، بل له مشاركات ومقالات عديدة في بعض هذه المجلات، فقد اطلعت مثلا في مجلة المنار التي كان يرأسها الشيخ محمد رشيد رضا يرحمه الله، الصادرة في شهر رجب سنة ١٣٤٦هـ في المجلد التاسع والعشرين، في باب المراسلة والمناظرة على مقالة له فيها توجيهات لصاحب التفسير الشيخ المصري طنطاوي جوهري، بدأ الرسالة بقوله: من عنيزة إلى قاهرة مصر أبعث جزيل التحيات ووافر السلام والتشكرات لحضرة الشيخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم حرسه الله تعالى من جميع الشرور. . . إلخ. وله أيضا عدة مقالات متسلسلة في العدد الثالث عام ١٣٦٧ هـ من مجلة المنهل التي أسسها عبد القدوس الأنصاري. وقد اطلعت أيضا على عدد من مشاركاته المتنوعة عام ١٣٧٣هـ في العدد الخامس والسادس والسابع والحادي عشر من مجلة اليمامة التي أسسها العَلَّامة الأديب حمد الجاسر رحمه الله.

## الشيخ شاعرا

كان للشيخ السعدي عناية فائقة بالنظم والشعر منذ شبابه، ولكنه كان مقلا، وكان النظم أسهل عليه، فقد نظم الدليل في

الفقه الحنبلي في أربعمائة بيت من بحر الرجز، وله منظومة في الفقه في سبعة وأربعين بيتًا نظمها سنة ١٣٣١هـ، وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره، ومنظومة أخرى في السير إلى الله تعالى.

وله نظم في معنى حديث: "مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل غيث أصاب أرضا . . ." الحديثَ، وله نظم في طلب العلم، وله أشعار متنوعة في الرثاء، والشوق لأصحابه وطلابه، ومنها ما كتبه لأحد طلابه النجباء الذين يحبهم وهو الشيخ محمد السليمان البسام المدرس بالحرم المكي الشريف حفظه الله لما أراد السفر إلى مكة للحج عام ١٣٦٣هـ، فقد ناوله الجد عبد الرحمن رسالة مختومة، وقال له: لا تفتحها حتى تسير مسافة كذا وكذا، يقول الشيخ البسام: فلما سرنا مسافة حسب الوعد فتحت الكتب ووجدت فيه أبياتا من الشعر يتوجد فيه الشيخ عبد الرحمن على فراق هذا التلميذ النجيب ويقول:

**أذكرت ربعًا من خليطك أقفرا**

**وأسلت دمعًا ذا رذاذٍ قَطَّرَا**

**أم هاجك الغادون عنك عشيةً**

**لما مشوا وتيمموا أُمَّ القرى**

**لزموا المواتر واغتدوا في سيرهم**

**لله دمعي خلفهم يا ما جرى**[(١)]

في قصيدة طويلة جميلة مؤثرة حتى إن الشيخ البسام تأثر جدًّا بعدها، وقال: وددت أني لم أسافر للحج إلا وأنا معه؛ لما لمسته من محبته وشفقته جزاه الله عنا أفضل الجزاء.

## من أخلاق الشيخ

وكان رحمه الله محل ثقة لدى المشايخ والقضاة خاصة مفتي المملكة ذلك الوقت الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، فقد قَلَّده الشيخ محمد عمادة المعهد باختيار مدرسي المعهد العلمي، وكان يستأنس برأيه وأقره على المنهج الذي وضع، وطلب من الجد الإشراف على المعهد بمقابل مالي، لكنه راجعه في ذلك وقال له: أشرف على المعهد دون مقابل، احتسابا لوجه الله.

وكان يعرف لأهل الفضل فضلهم وسبقهم إلى المعروف،

(١) هذا شعر تمثل به الشيخ من نظم الشيخ تاج العارفين كتبه إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدي مفتي مكة، وقد غير الشيخ بعض الألفاظ بما يناسب المقام، ولعلنا نستطيع من خلال هذا التغيير تلمس جوانب شاعرية الشيخ.

فكانت هذه المعرفة تصل حتى للأحفاد من بعدهم، فقد ذكر الشيخ عبد الله البسام في كتابه علماء نجد أنه لما تصدع المسجد الجامع من جهة مقدمته سنة ١٣٦١هـ جعل محمد العلي المنصور الزامل مشرفًا على البناء خلفًا لجده منصور العلي البراهيم الزامل الذي وسع المقدمة سنة ١٢٤٦هـ. ولما تصدعت مؤخرة المسجد من جهة السرحة سنة ١٣٧٢ هـ جعل سليمان الصالح الحمد البسام مشرفًا على البناء خلفًا لجده حمد المحمد البسام الذي وسع المسجد من الخلف سنة ١٢٤٦هـ فرحمهم الله جميعا.

وكان دقيقًا في المسائل التي يعرضها ولا يستنكر أو يستوحش الاستفادة من المخترعات والتقنيات الجديدة في عصره، وشاهد ذلك ما ذكره الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله أثناء قراءته وشرحه القاعدة الحادية عشرة من كتاب القواعد الحسان للشيخ الوالد : بأن المفسر للقرآن الكريم يراعي ما دلت عليه ألفاظه مطابقةً، وما دخل في ضمنها. وقوله: ومن ذلك فعل أسباب ما فيه تبليغ الأحكام الشرعية وإثباتها كتبليغ الناس بدخول الشهر بالأصوات والرمي والبرقيات ونحوها. يقول الشيخ ابن عثيمين: شيخنا عبد الرحمن رحمه الله دقيق في المسائل هذه ولا يستوحش ولا يستنكر المخترعات العصرية، مع أنه كان في وقته

ينكر كثير من الناس هذه المخترعات الحديثة، فضلًا أن تثبت الأهلة بالإذاعة أو البرقيات. ويقول بعض هؤلاء: إن هذه البرقيات سحر، وإن الشياطين تنقلها، ويقول الشيخ ابن عثيمين: إن بعض هؤلاء سطوا عليها وحاولوا تكسيرها.

يذكر الشيخ عبد الله العمري رحمه الله في رسالة تلقيتها منه عام ١٤٢٥هـ فحواها أنه تذاكر مع الشيخ ابن عُثيمين رحمه الله قبل وفاته وفي بعض مجالسه سيرة شيخهم عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله، فقال الشيخ ابن عثيمين: لو أُتيح لشيخنا عبد الرحمن ما أُتِيح لكبار العلماء في هذا الوقت من وسائل الاتصال والإعلام الداخلي والعالمي لفاقهم في حسن الذكر ومكارم الأخلاق.

ويذكر الشيخ محمد العثيمين رحمه الله في أحد دروسه أنه لما طبع كتاب القواعد الحسان طبعته الأولى تحت إشراف الأستاذ محمد حامد الفقي سنة ١٣٦٦هـ وكانت هذه النسخة تحمل زيادات أدرجها المشرف باجتهاده، وأغلاط من تصحيف ونقص وتقديم وتأخير وسقط أثناء الطباعة، فظهرت النسخة معيبة، وبعد وصولها لعنيزة وتوزيعها على طلبة العلم، وقراءتها على الشيخ، تكلم بعض كبار الطلبة مع الجد عبد الرحمن حول تصرف الطابع

(المشرف) وهم في مجلس الدرس، وذكروا له الفروقات الكثيرة بين المخطوط والمطبوع، فطالبوه رحمه الله بأن يتكلم مع الناشر وأن يقيم عليه دعوى ومحاسبة، خاصة أن تكاليف الكتاب كانت مدفوعة مسبقًا، فاستمع منهم رحمه الله، لكنه بعد مراجعته للكتاب قال: ما دامت الزيادات أو السقط الحاصل ليس فيها مضادة للمعنى أو إفساد له اتركوه. فتسامح رحمه الله مع الناشر وطابع الكتاب ولم يستجب لطلبهم. انتهى.

وقد يسر الله لنا الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت حفظه الله فقام بتحقيقه وضبطه عام ١٤٢١هـ فأخرج لنا نسخة نظيفة ومحققة ومطابقة للأصل المخطوط.

## مراسلات الشيخ

كان الجد دائم التواصل بينه وبين المشايخ والقضاة وطلبة العلم خاصة ممن سكن خارج مدينة عنيزة، وكانت وسيلة الاتصال ذلك الوقت الرسائل المكتوبة والتي كانت تصل إلى أصاحبها في مكة أو جيزان أو الدمام أو الجبيل أو الرياض أو الكويت أو البحرين أو الشام أو مصر في مدد زمنية قد تصل إلى أكثر من ثلاثين يومًا، لكنه رحمه الله كان حريصًا على المواصلة فيما بينهم

فلا يتكاسل عن الرد -وإن طالت المدة- فيتفقدهم، ويجيب على أسئلتهم، ويسأل عن حالهم وحال أهلهم وأولادهم، وقد وجدت رسالة من رسائله المخطوطة قد تجاوزت ثماني صفحات، وبسبب هذا التواصل خرج من تلك الرسائل كتب عديدة بجهود طلبة علم معروفين بحبهم للشيخ ولطلبة الشيخ؛ من أمثال الأستاذ الشيخ هيثم حداد، والدكتور الشيخ وليد المنيس، ومن هذه الكتب: كتاب "**الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة**" وهي مجموعة رسائله رحمه الله مع الشيخ العم عبد الله العبد العزيز العقيل حفظه الله يوم أن كان قاضيًا في منطقة جازان وفرسان جنوب المملكة. ومنها كتاب "الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية" وهي مجموعة رسائله مع بعض شيوخ الكويت ذلك الوقت؛ وهم الشيخ محمد بن عبد المحسن الدعيج رحمه الله، والشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري، والشيخ محمد بن سليمان الجراح رحمهم الله جميعا. أما الكتاب الأخير فهو "**الأجوبة السعدية عن المسائل القصيمية**" وهي مجموعة رسائله مع الشيخ عبد الرحمن بن محمد المقوشي، والشيخ ناصر بن باتل العبري، والشيخ صالح بن مرشد، والشيخ سليمان بن رويشد، والشيخ محمد بن سليمان البصيري، والشيخ سالم العلي المحفوظ رحمهم الله جميعا.

أما الأقرباء والأصدقاء فهم لا ينقطعون عن مراسلته، ولا يترددون في طلب الفتوى منه، وقد تجد في رسائل بعضهم من يطلب خدمة في أمر من الأمور الدنيوية العامة، وبعضهم يودعه أسراره الخاصة مثل الوصايا والوقوف وغيرها، وكان رحمه الله لا يتأخر عن خدمتهم وقضاء حوائجهم.

وللتجار من أهل عنيزة في مكة والرياض والجبيل والدمام والبحرين والهند نصيب من هذه المراسلات؛ فهم يثقون بالشيخ فيرسلون له صدقاتهم وزكواتهم السنوية؛ ليقوم هو بنفسه بتفريقها على المحتاجين من أهل عنيزة كما ذكره في رسالة عندي مؤرخة في ١٣/ ٩/ ١٣٧٤هـ تاجر البحرين الوجيه عبد العزيز العلي البسام رحمه الله. وكان رحمه الله يسأل عن الضعفاء والمتعففين عن المسألة فيذهب إليهم ويعطيهم بنفسه ما قسم الله لهم.

## من مذكرات الشيخ

أخيرًا ففي شهر رجب من عام ١٤٢٥هـ دعاني الخال محمد لدكانه بالدمام، فلما سلمت عليه أخرج من درج مكتبه دفترا أسود اللون صغيرا بحجم الكف سميك الغلاف، وقال لي: هذا الدُّفَيْتر (تصغير دفتر) يا مساعد كان عند المرحوم مثل مفكرة الجيب

يسجل فيه بعض المعلومات، وجدته عندي. فناولني إياه وقال: خذه هدية واطلع عليه. فشكرت له ذلك، وكان الفرح قد غمرني حتى أني لا أستطيع وصفه، وازداد الفرح لما قلبت صفحات الدفتر فوجدت فيه ما لم أجده في مؤلفات الشيخ ورسائله الشخصية التي بحوزتي، فصوّرْتُه صورةً مكبرة حتى أتمكن من قراءته، وكنت أطالعها من وقت لآخر، وفي كل مرة أقول: رحم الله الجد! كان شعاره محاربة النسيان بالتسجيل والتدوين والكتابة. وعندما كنت أقلب صفحات هذا الدفتر الصغير كنت ألمس التنوع المعرفي للشيخ بالإضافة لدقته رحمه الله، وسوف أذكر بعض ما ورد في هذا الدفتر الصغير دون ترتيب:

١- معلومات وفوائد شرعية مختلفة.

٢- الإجابة على بعض الأسئلة، ومنها سؤال عن محاباة المريض في مرض الموت، كذلك سؤال: إذا مات المستأجر هل يلزم ورثته تعجيل الأجرة، وغير ذلك من الأسئلة.

٣- كيف يُستخدم ظلُّ الشاخص في معرفة أوقات الصلوات الخمس.

٤- مصاريف وحسابات مشتريات البيت الشهرية والسنوية.

٥- الأماكن التي كان يحفظ فيها رحمه الله نقوده ووصاياه.

٦- المداينات التي يطلب منه أقرباؤه من الرجال والنساء تسجيلها وإثباتها.

٧- حصر الزكوات التي تصله من التجار أو أصحاب المزارع أو الطلاب الميسورين ليقوم بتفريقها بنفسه وبمعرفته.

٨- تواريخ بعض الأحداث المهمة؛ مثل الانتهاء من بناء المكتبة سنة ١٣٥٩هـ، وترتيب الشيخ محمد العبد العزيز المطوع مدرسًا مبتدئًا فيها لتعليم العقيدة والفقه في التاسع من شوال عام ١٣٥٩هـ، وتاريخ ميلاد بعض معارفه.

٩- تسجيل الأوقاف التي يُوقِفُها أهل الخير على أعمال البر.

١٠- توزيع بعض المواريث الخاصة ببعض الأسر.

١١- الكتب التي استعارها من عيال الرواف محمد وسليمان سنة ١٣٤٤هـ.

١٢- المبالغ المالية التي تزيد عن حاجة المسجد والمكتبة، والتي كان يعطيها بعض التجار الذين يثق بهم لشراء البسط أو تنك القاز لسرج المسجد، أو التي يطلب منهم المضاربة بها، والتي كانت تصير أرباحها إعانة لطلاب العلم والفقراء من أهل عنيزة، وكان رحمه الله يوصي التجار بحفظها وجعلها في عقار ونحوه، وهو الناظر عليها في حياته، ولم يغفل رحمه الله عن أخذ توقيعهم على ذلك.

١٣- ما يستعيره من كتب وأدوات.

١٤- سجل في هذا الدفتر بعض أملاك أجداده رحمهم الله.

١٥- سجل في هذا الدفتر الأماكن التي وضع فيها وصيته ووصية الجد سليمان والوثائق المهمة .

١٦- دوّن فيه اسمه كاملًا في وسط الدفتر: "عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد بن محمد بن حمد السعدي" ، ودوّن فيه أسماء بعض قرابته، مثل

حسين بن ناصر السعدي وبنته نورة، وأبناء أخيه حمد القاضي، وأسماء أهل حائل، مثل الشاعر شايع بن رباح بن سعدي، ومطلق بن سالم، وحمود بن عثمان السعدي.

١٧- سجل في هذا الدفتر أسماء بعض غرف البيت، مثل القهوة، روشن حصة، روشن برجس . . . وهكذا.

١٨- سجل فيها راتب ومعاش من يكلفهم بالتدريس، مثل راتب الشيخ محمد العبد العزيز المطوع، والذي كان معاشه ذلك الوقت ١٥ ريالا.

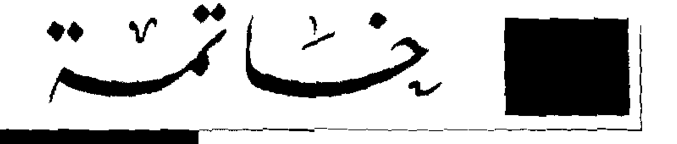
١٩- طريقة علاج البثرة.

٢٠- تجديد وكالة للشيخ من أحد المغتربين عن مدينة عنيزة لتزويج ابنة له.

٢١- وفيه أيضا بعض الأمور العائلية الخاصة.

* * *




خاتمة

# خاتمة

في الختام أحب أن أذكر أنه لم يكن في نيتي طباعة هذه المواقف ونشرها، لكن لما علم كثير من محبي الشيخ بهذه المذكرات طلبوا إلى الخال محمد نشرها ليتمكن الناس من الاطلاع عليها للتعرف على مكارم أخلاق الشيخ وحسن سيرته.

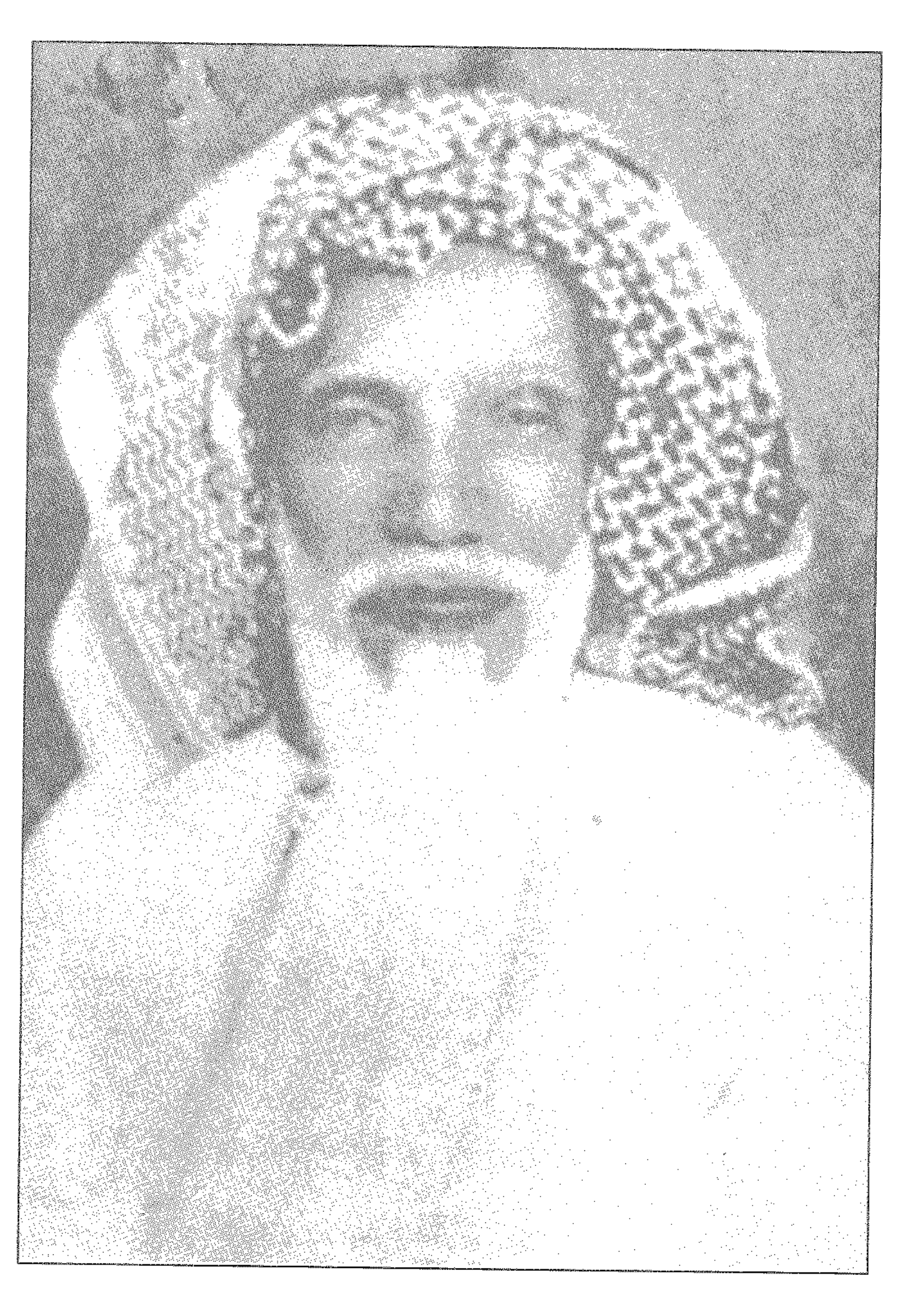
فاجتهدنا في إخراجها وطباعتها، ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في نشر الكتاب بالدعم المعنوي من تشجيع مستمر أو تصحيح أو نصح وإرشاد أو تعليق هادف، وأخص منهم الشيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز العقيل والدكتور عبد العزيز بن صالح الشبل والشيخ أيمن بن عبد الرحمن الحنيحن والأخ عبد الله بن صالح الشبل والأستاذ الأديب ابراهيم بن عبد الرحمن التركي والدكتور سليمان بن عبد الله الميمان.

فنسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يشركنا وإياهم في الأجر، والحمد لله رب العالمين.

* * *




# ملحق الصور



الشيخ العلامة/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي



الصورة في غوطة دمشق عام ١٣٧٣، ويرى في الصورة الشيخ عبد الرحمن وفي الطرف الأيمن من الصورة رفيق سفره صالح العباد (أبو عبود) والطرف الأيسر من الصورة العوهلي، وعن يسار الشيخ القاضي والواقف خلفه عن يساره ابنه الخال محمد العبد الرحمن السعدي



صورة للشيخ وهو يسلم ويرحب بالزائرين في بيته بعالية (لبنان)



الشيخ يقف في منزله في عالية (لبنان) سنة ١٣٧٣هـ، ومرافقيه
عند التقاط بعض الصور السينمائية



بعض من كانوا في زيارة للشيخ للسلام عليه في مقر إقامته في مدينة عالية (لبنان) ١٣٧٣ هـ

صورة للشيخ وهو يتحدث إلى سليمان الغنيم رحمهما الله تعالى



١٥

القاعدة الحادية عشر اليقين لا يزول بالشك
ومعنى هذا ان الانسان متى تحقق شيئا ثم شك هل زال ذلك الشيء
المتحقق ام لا الاصل بقاء المتحقق فيبقى الامر على ما كان متحققا فلو
شك في امراة هل تزوجها ام لا لم يكن له وطؤها استصحابا لحكم التحريم وكذلك
لو شك هل طلق زوجته ام لا لم تطلق وله ان يطأها استصحابا للنكاح وكذلك
لو شك في الحدث بعد تيقن الطهارة او عكسه او شك في عدد الركعات
او الطواف والسعي والرمي ونحوها فانه يبني على اليقين وهو الاقل
ولكن قد يشتبه الاصل الذي يرجع اليه عند الشك فيحتاج الى ذكر
اصول كثير من الاحكام فلهذا قلت ويدخل تحت هذه القاعدة
اصول الاصل في الاشياء الطهارة فاذا اصاب بدن المكلف
او ثوبه ماء او رطوبة او وطئ روثة او سقط في الماء روثة او عظم
شك في طهارة ذلك ونجاسته فانه يحكم بطهارته استصحابا للاصل
حتى ولو غلب على الظن نجاسته فانه طاهر حتى تتحقق نجاسته
الاصل في الاطعمة الحل لان الله تعالى خلق لعباده
جميع ما على الارض ينتفعون به اكلا وشربا وغيرهما من انواع

صورة لبعض مخطوطات الشيخ

صورة لبعض مخطوطات الشيخ



صورة مكبرة لمخطوطة من مخطوطات الشيخ

لو شك في الحدث بعد تيقنه الطهارة أو عكسه أو شك في عدد ركعات

أو الطواف أو السعي أو الرمي ونحوه فإنه يبني على اليقين وهو الأقل

ولكن قد يشتبه الأصل الذي يرجع إليه عند الشك فيحتاج إلى

أصول كثير من الأحكام فلهذا قلت وبعض تحت هذه

أصول الأصل في الأشياء الطهارة فإذا أصاب بدن

أو ثوب به ماء أو رطوبة أو وطئ روثة أو سقط في الماء روثة

شك في طهارة ذلك ونجاسته فإنه يحكم بطهارته استصحابا

حتى ولو غلب على الظن نجاسته فإنه طاهر حتى يتحقق نجا

صورة مكبرة لمخطوطة من مخطوطات الشيخ

جامع عنيزة المعروف والذي كان يؤم المصلين فيه ويعقد فيه دروسه العلمية





صور شخصية للشيخ رحمه الله


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com






ذاعت سيرة العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله على الألسنة، ما بين المختصر المقتصر، والمسهب المطنب، إلا أن السؤال لم يزل متواليا عن حياته، وأثره في دنيا الناس.

وفي هذا الكتاب قام ابن الشيخ: الأستاذ محمد بن عبد الرحمن بن ناصر السعدي بجمع جوانب فكره، وعصارة خواطره، وحصاد ذكرياته عن والده رحمه الله، وجعل يملي ما لم ينسه من صفحات والده، وتقلبه في العالمين، وأثره النافع بين الناس، وتبعه في هذا سبط الشيخ: مساعد بن عبد الله بن سليمان السعدي، وأفسح لقلمه مجالا غير قصير للحديث عن جده الإمام.

فهذا الكتاب يعطي صورة عابرة، إلا أنها شيقة، وموجزة غير أنها كافية، عن حياة علم من أعلام هذه الأمة، الذين غادروها بأجسادهم، وبقيت آثارهم من خلفهم تنشر عبير ذكرهم الطيب، وشمائلهم الكريمة وعلمهم النافع.




يطلب هذا الكتاب من:
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٠٠(٩٦٦) ١ ٤٦٢-٧٣٣٦
فاكس: ٠٠(٩٦٦) ١ ٤٦١-٢١٦٣
للاستفسار (جوال): ٠٥٠٠٠٠٤٥٦٨

دار الميمان للنشر والتوزيع
www.arabia-it.com
info@arabia-it.com